الفصل الرابع

المحسوس والمجرد بوصفهما مقولتين لغويتين

المحسوس والمجرد بوصفهما مقولتين لغويتين

I

قبل كل شيء في اللغة تكون أشكال نظامها العام أيضًا ١٠٥
مفهومة في تحول مستمر ومتنوع. ولذلك يبدو جديرًا بالسؤال
هل يعبر عن ملامح سارية ومستمرة لرؤية العالم في أبنية
الشكل العامة الخاصة بها، ومن المحتمل أيضًا أن توجد على نحو
مشابه من خلال اللغات المختلفة، وهي ملامح تكون موافقة
مع ملك المعرفة، وبذلك لها قيمة معرفية حقيقية، أي تشارك
في الطبيعة المعقولية للمعرفة. وأفترض مع نيكولاي هارتمان
أن مقولات المعرفة ستوافق إلى حد بعيد مع مقولات العالم
الواقعي، ومن ثم تكون منفصلة لما هو كائن.
وكان فيندلباند(١) قد قسم المقولات إلى أساسية (تكوينية)
وتأملية، وقصد بالأخيرة أنها ربما لا تنتج عن الواقع، بل انحسار
اتجاه إنساني تعسفي، بل إنه قد نظم تحت هذه التأملية تلك
المقولات الأساسية التي وضعها الإنسان بشكل تعسفي مثل
مقولات التفريق والتساوي، وأحوات "المثل"، "ما هو مساو
لكن ليس الشيء نفسه"، و"ما هو مشابه، ولكن ليس مساويًا"،
والرؤى الأساسية للغاية، التي تتضح للإنسان في الواقع تكون
أساس البداية البسيطة الأولى لكل معرفة وتفكير. ولم تمنح الأشكال
الأساسية بصورة بالغة لتحل روحي ولتفريق وتساو للإنسان وحده،
وهي تبلغ خلف ذلك إلى ما هو قبل إنساني، وإلى الطبيعة على نحو بعيد
أيضًا، أجل إنها تسع تقريبًا الخواص الأساسية للجوهر الحي بوجه عام.
وما يقع في أساسه ربما هو المعايشة الأساسية بصورة بالغة للوجود
الطبيعي "الذاكرة". هكذا أسماها ر. سيمون(٢) في كتاب لم يكن له
في زمانه التأثير المستحق، ونسي تقريبًا في الوقت الحاضر دون وجه
حق. وخاصية المادة الطبيعية أنه من كل مثير ملح فيه أثر يحافظ على

---

(١) ف. فيندلباند، عن نظام المقولات. مقال فلسفي مهدى ل. سيجفارت ١٩٠٠، ص ٤١ وما بعدها.
(٢) ر. سيمون، الذاكرة، ١٩٠٤.

"أثر مختلف"، وأنه لذلك يصدق المثير المتكرر على نحو مماثل على الموقف الجديد لاستعداد قائم، على "الذاكرة"، التي تربطه بالسابق. هذا ١٠٦
الربط هو الفعل المقولي المبكر بوجه عام.(٢) عليه ترتكز آخر الأمر أيضا كل تصنيف، البناء المنطقي، وفيما بعد البناء النوعي الذي يتأكد تحديدا في تدرج فصائل النباتات والحيوانات وفوق علاقة الجنس الأصلي بوصفه ملمح نظام أساسي، مقولة العالم الواقعي.

وبالنسبة لنا يتعلق الأمر بالسؤال، إلى أي مدى تتصور أبنية الشكل العامة التي أنجزت اللغة واقعيا، ومن ثم تصل إلى مجال ما هو مقولي أو هل هي مخططات مفهومية متغيرة أو حتى تعكس من ناحية تاريخية اجتماعية فقط نحوا "أشكال فكر" واهية. وقد مثل هارتمان المقولات على أنها سارية بلا قيد، لأنها موسعة بشكل موضوعي محض، في مقابل المفاهيم التي تتغير لأنها دائما سبقت وفق الوضع المتحقق في كل المعرفة الإنسانية - بذلك تبدو بشكل عائد قريبة من الأشكال الفكرية. وما نقصد بمفاهيم سوف نطلق عليه من منظور علم الدلالة اللغوي بشكل أكثر معاني، ونحدد المفاهيم على نحو آخر إلى حد ما: ينشأ مفاهيم من خلال تحديد الملامح الجوهرية في الظاهرة، وحيث نفهم بشكل صحيح، أي تكون مفاهيم حقيقية، تسري تبعا لذلك بوجه عام وبلا زمن يجوز أن تعد انعكاسا لما هو مقولي. وما يتغير يحل على العكس من ذلك معاني الكلمة التي تستقي مبدأها أيضا مما هو واقعي، ولكن تكون مع ذلك إلى حد بعيد إبداعات ذاتية للغة المعينة، وللحيز الزمني المعين، بل للبيئة (المحل) المعين، وأخيرا لأفراد معينين، أي للأساتذة الكبار في اللغة. ولذلك يكون في الأغلب معنى كلمة ما غير قابل للنقل، في حين أن مفهوما ما يجب أن يعاد تقديمه في كل لغة تشكلت على نحو كاف. ويكون لفظ Sperling قابلا للنقل لأنه قريب المفهوم حيث يدل على العصفور ذاته،

---

(٢) بالنظر إلى علم الصفات ل ن. هارتمان يستطيع المرء أن يقول إنه هنا تظهر مقولة جديدة لطبقة الوجود الذهني في طبيعة أولى بشكل عميق في الطبقة الأدنى. وربما يمكن أن يمتد هذا أيضا إلى مجالات أخرى.

وقابل للنقل إلى لغات أجنبية على أي نحو كان.

ولكن هذه ليست الحال مع لفظة Spatz، وهو العصفور الوقح (طويل اللسان) ابن الحارة الواقف أمامنا بين طيور محيطنا المالي، وبين صياغة ألمانية بشكل مميز للمعنى، اللفظ الأول في برهم مقال كتبه كريستيلر لودفيج)،

وتبين نظرة إلى تطور اللغة المعينة دائمًا إمكان تغير محير، ليس فقط الصيغ الصوتية، والمعاني الفردية للكلمات، وأنظمة التركيب، وإنما في اللغة التي توصف من خلال علامات نظام مشتركة (أمثال [illegible] الأكبر ومخططات نحوية للألسنة [illegible] وتساقط باستمرار. وهكذا [illegible] إلى النظر إلى التطور اللغوي على [illegible] علمًا بأنه عوض عن الصيغ الفعلية وحالات الإعراب [illegible] المضبوطة "بشكل تأليفي" من خلال ما هي "بشكل تحليلي" التصورات الجزئية المفردة بالنسبة لأبنية من أكثر من كلمة منفصلة. في اللاتينية amavi < ego habeo amatum في اللاتينية الدارجة، في الإيطالية ١٠٧

ho amato (أنا) (أحببت) j'ai aimé وفي الفرنسية، وفي اللاتينية patris < في اللاتينية الدارجة de illo patre < في الإيطالية del padre، وفي الفرنسية du père (للأب).

وكان هذا بالتأكيد لحكم عام غير مسوغ، ويستطيع المرء تحديدًا على العكس أن يعد لذلك أن شرح العناصر الدالة الموحدة في الصيغة التأليفية القديمة تقدم والحد نحو الوضوح.(٢٢)

بيد أن السؤال نظل غير مسوغ، هو إلى أي مدى يلاحظ في تطور اللغة تقدم إلى نظرة أفضل إلى العالم، أو محاولة جارية بشكل تردي. وليس التغير تقدمًا في كل مكان، إذ يوجد التدهور أيضًا، ويوجد التخلف. وقد قيل أحيانًا إن اللغة الأقرب لمعرفة التي تنمو معًا، في البدايات، ولكن لا تستمر مثلًا. ويرجع إسهامها القيم في تطور المعرفة والفكر إلى بدايات الطريق المشتركة.

اللغة ابتدعها الإنسان أو التأمت معه (التحمت به) بوصفها مساعدة كينونة، وأداة، لإنجاز العالم من خلال معرفة منظمة. هذا النظام بالتأكيد لم ينجزمنها وحدها. ولكن بوجه خاص بمساعدة صور الكلمة مع ربطها بالصوت والمعنى اكتسب الإنسان القدرة على أن يبرز

(٢٢) انظر ف. تشرش: نمو اللغة أو تدهورها؟ اللغة الأم، ١٩٦٥، ص ١٢٧ وما بعدها.

من الحركة الذاتية للتفكير المحفز، الذى انساب من خلاله بوصفه تيارًا متواصلًا، على نحو يعاد معرفته من الفرد هو نفسه أو مثله، وأن يظهر من خلال تحديد فى الذاكرة حول معرفة قارة، وأن يهيئه لإعادة الاستعمال بوسائط الإشارات الصوتية.

ولم يفهم الإنسان الوجود وحده، بل بوصفه تابعًا للجماعة؛ وهكذا كانت اللغة بوجه خاص أداة جماعة فى خدمة التفاهم. ولكن لكى تكون أداة مفيدة لذلك يجب أن تكون صحيحة، موثقة موضوعيًا، ويجب أن تتوافق مع معرفة قائمة. هذا يمكن أن يتوقع أن ملامح النظام الجوهرية الخاصة بها تتطابق بدرجة ما مع ملامح النظام للعالم الواقعى، أى تعكس مقولات الواقع أو تكون على طريقة أن تتسوى معها: يدرك على نحو ما لكيف يستطيع الإنسان أن يتعرف ما هو واقعى. وكون أنه توجد هنا قيود محددة ليست مؤقتة فقط، بل جوهرية، وأن الإدراك الحسى لا يقع فى علاقة تصوير بالأشياء المسببة قد عرفته إلى حد ما فلسفة العصور القديمة. وتميل الفيزياء الحديثة بشكل تام إلى أن تحلل فى إشعاعات الطاقة، فى محيط أكبر كل ما يحفز إدراكنا ما دام لم تعد شيئًا أيضًا. ولكن لا توجد أيضًا الربط الشكلى لصور التنوع الإشعاعى هذه فى هيئات مكانية معينة، ١٠ٸ
وامتدادات زمنية معينة؛ يبقى الشكل والمكان والزمان.

وتعد كل لغة صوتية متعلمة بناءً من طبقتين. نحن نتحدث فى جمل، تتركب من مفردات. وينبغى هنا أن ننظر فقط فى بعض ملامح الطبقة الأساسية، طبقة المفردات ومعانيها.

II

من خلال أحيان زمنية غير قابلة للقياس تقريبًا تحالفت اللغة مع المعرفة البسيطة[٤] فى تعميم صورة بسيطة للعالم. وملامح النظام

---

(٤) قارن. هارتمان على نحو بالغ الإقناع اختلاف معرفة بسيطة عن معرفة علمية، وبوجه عام طرائق المعرفة وطبقاتها: بناء العالم الواقعى ص ١٧٢ وما بعدها.

الرئيسي في ذلك توصيف في زمن الهندوجرمانية، وفي الزمن المبكر
للغات المعنية أيضًا (السنسكريتية، واليونانية، والقوطية) منه
خلال نظام جيد البناء لعلامات البنية (في الغالب اللواحق)، حتى
في الداخل في اللغات المفردة المتغيرة بشكل أقوى مثل الإنجليزية
الحديثة ما يزال تُصب في التعبير اللغوي حتمًا تمامًا، برغم الفقدان
التام تقريبًا للوسم الشكلي. فقد تضمنت كلمة هندوجرمانية،
كما عرفها ابتداءً نحاة الهندية القديمة العظام، بدرجة أكثر أو أقل
بشكل واضح عنصرين للمعنى على الأقل، أو ثلاثة عناصر عادة:
فردي (مادي)، ملتصقة بالجذر، وعنصر أو عنصرين لتوجه
مقولي. ففي اليونانية λύκος، الساق λύκο يلتصق المعنى
الفردي "ذئب" بالجذر -λύκ، وينظم مقطع البناء الكلمة
في نوع الكلمة الاسم، وبشكل عارض في تصريف -ο، وهو
ما لم يعدله وزن دلاليًا في المراحل اللغوية المتاحة لنا،
فقد نسي معنى النمط منذ مدة طويلة. ولكن ما يزال العنصر
-ο- إرشادًا آخر للمعنى، إلى الجنس مذكر(5). وهكذا يحمل
الساق (-λύκο) ثلاثة عناصر للمعنى، عنصرًا فرديًا،
وعنصرين مقوليين. وحين يصف المرء عناصر المعنى
من نوعين بأنها سيمات (وحدات دلالية)، فإنه لا يضم
هذا الساق للكلمة إذن أقل من ثلاث سيمات.

ولقد شجعت لوحة أنواع الكلمة في تطور تاريخي
طويل منذ الشفطائين وأرسطو، وتتذبذب تنظيمًا حتى
اليوم في بعض النقاط. ومنذ الزمن المتأخر الروماني سرى
عدد ثمانية، صارت في العصر الحديث إلى عدد عشرة: الاسم،
والفعل، والصفة، والظرف، والضمير، والأداة، ولفظ العدد،
والحرف، والرابط، والخالفة. ولقرون طويلة منذ العصور الوسطى ١٠٩
افترض المرء دون اختبار مستمر أن هذا المخطط يمكن أيضًا أن ينقل
إلى لغات أخرى غير محددة، ومن المحتمل إلى عصر مغاير تمامًا للثقافة.

---

(5) هذا ليس ساريًا من دون استثناء - فالـ s علامة نحوية، تحديدًا الحالة الرفع، ولا شأن لها هنا بذلك.

واللاتينية كانت ابن مع التعبير حال عارية لكلام صحيح. وفي العصر الحديث بداية توجيه المرء إلى إبراز نظام لأنواع الكلمة من اللغة المفردة. ويعزو دى جروت(٦) الهولندية الحديثة ٣٠ نوعًا للكلمة وبالمناسبة للاتينية ٢٤ نوعًا. وربما كانت الحقيقة أن النظام العشري القديم كان مقتضبًا جدًا. وفي بعض النقاط قام بشكل جيد بتمييز أوسع. وبشكل كلي قد كان مستعملاً بشكل جيد لمجال الهندوجرمانية، وقدم بناءً على ذلك ابن مع التعبير اتجاهات رئيسية طبيعية لنظام لغوي بشكل موفق أساسًا.

لننظر بإيجاز في الأنواع الرئيسية الفعل، والاسم، والصفة. يقع خلف الزوج فعل - اسم مقولات الحدث (العملية)، والفاعل المداوم في تبادل الحدث، الذات. هنا تعد العلاقة الاصطلاحية واضحة، فقد أتى اسم الذات تبعًا للذات. وقد حاول البحث اللغوي أن يكشف عن الباعث المميز الذي اتضح من خلاله للمرء هذه العلاقة الأساسية المقولية. والباحث الهولندي يوس(٧) تفسر بشكل لطيف أنه إلى جانب، وأمام الطبيعة التي أحاطت بالإنسان وأثرت فيه (الشمس والقمر، والأرض، وفصول السنة، والمخلوقات، والميلاد، والنمو، والموت) كانت بشكل خاص معايشة الجسد الخاص، أجزاؤه، ووظائفها، ولاسيما وظيفة الذراعين واليدين التي استطاعت أن تعمل على نحو مشابه للأدوات. ومن خلال هذه الوظائف اتخذ باعثًا للتفريق بين الفعل والاسم بوصفهما تعبيرين عن جوانب مختلفة، ولكن متضافرة بعضها مع بعض على نحو غير منفصم لما هو واقعي: يفعل (الفعل) أو صاحب هذا الفعل، والشيء الذي يخضع للفعل.

وتعد أساسًا العلاقة الصفة بالاسم التابعة له علاقة التلازم

---

(٦) ف. دى جروت، علم اللغة البنيوي وأقسام الكلمة. I Lingua (١٩٤٨)، ص ٤٢٧ وما بعدها.

إلنسين للألمانية انتهى قبل ما يزيد عن ١٠٠ سنة ك. أو. ماجر (المقولات النحوية. المجلة التربوية ٣ (١٨٤١)، ص ٢١١ وما بعدها) - إذا ما حسبت بشكل صحيح إلى ١٧ مقولة.

(٧) ى. هـ. يوس، أساس معاني [illegible] مناهج مختلفة، I Lingua (١٩٤٨) ص ٢٨١ وما بعدها. وعلى نحو مشابه ف. بلانزت، مجلة الجمعية الألمانية للاستشراق ٦٠ (١٩٠٦)، ص ٧٦٦.

للكيف، وفي محيط أفعال للكم، بحامله، الاسم الذات. وثمة صبغة جانبية للصفة هي الظرف الذي يُحدِّد بشكل كيفي أو بشكل أكثر شيوعاً على نحو متدرج في الغالب الفعلَ، أي يُحدِّد تعبير الحركة: أمطرت بشدة. وقد وجدت أقوال عن علاقات شكلاً لغوياً في الحروف والروابط.
وهذه أيضاً تقع في مجال إدراك ممكن؛ فالحروف تشي في الغالب ١١٠
بعلاقات مكانية أو زمانية: أمام المدينة، قبل عيد الفصح (في العربية هي ظروف). - وتشي الروابط في الغالب بعلاقات سببية أو غائية: إذان، لأن، بذلك، لكي. ولم توفق كل اللغات إلى تمييز واضح حتى للأنواع الأهم للكلمة. ولغة ثقافية راقية مثل الصينية تظهر بالكاد نظاماً لأنواع الكلمة.

ولأنواع الكلمة مكانها ليس في علم الدلالة فقط، فهي تقع أيضاً في علاقة وثيقة بتركيب الكلمات في الجملة. وعلى نحو خاص يشغل الفعل عادةً موقع المحمول، وشأن الموضوع (الفاعل) أن يمثله اسم. وهكذا تُحدَّد أنواع الكلمة بشكل محض من جانب نحوي انطلاقاً من معناها بوصفها "أجزاء للكلام". ولكن لا يبدو هذا الى كنهها الأصلي والفعلي. ولا يسري أيضاً على كل اللغات ببساطة. ففي اللغات الملاوية - البولينيزية مثلاً أو في لغات القارة الأمريكية ربما لا يبلغ الأمر حدّ الصمت تماماً عما هو صيني، ولا يناسب هذا على الإطلاق هذا التساؤل.

ولا يجوز أن نتشكك في المعنى المعول لأنواع الكلام، حين لا تثبت بأية حال على نحو موحّد المادة اللفظية المجملة في الأنواع المفردة. فلا شيء في اللغة ثابت. وفي الأنظمة التي تنجزها، تبنى بشكل مستمر بلا توقف، وتدور مع صور التبعية بشكل تعسفي للغاية. أجل يُنظّم كل نحوٍ باستثناءات". وفي الغالب يكون الأمر هكذا أن النواة المستقرة لنوع الكلمة تنكشف بوصفها أصلية، وفي الاسم يكون هذا مفهوم الشيء، وبشكل أفضل مفهوم الذات لأنه لا يتبعه أشياء فقط بل مواد أيضاً لا أحد شيئي (حديد، ماء). ونجد أيضاً متضمناً في النوع "اسم" أشياء غير مادية كثيرة: تعبيرات لحدث نفسي (غضب، إنعام الفكر)، وأخيراً أبنية ذات تشكيل عقلي محض وصولاً الى كلمات شديدة التجريد، مثل أمر، شأن، علاقة.

III

أنشئت في ثروتنا اللفظية إلى جانب النظام الأساسي لأنواع الكلمة تقسيمات
أخرى من رتبة ثانية، لا توصف بوضوح من خلال أنماط بناء بشكل مستمر
ولذلك لا تؤدي في الإنحاء دورًا مناسبًا لأهميتها، بل تجد بالأحرى اعتبارًا
بصورة مبعثرة في علم بناء الكلمة. هذه التقسيمات تقابل أنواع الكلمة
بشكل مستقل إلى حد ما، وهي تقع إن صح التعبير في مستوى يتقاطع
مع مستوى أنواع الكلمة. وأهم زوج مفهومي هنا هو زوج المحسوسات
والمجردات؛ وسوف أعنى فيما يأتي أساسًا به وببعض مفاهيم
المجموعات المتاخمة. / وربما يوجد ما نقصد بزوجنا المفهومي بدرجة أكثر ١١١
أو أقل في كل لغة. كل نظرة لغوية، كل معجم يشتغل به، ولكن
لم يحاول إيضاح الحد المتبادل لكلا المفهومين. وبشكل إجمالي
يتضح أن كلامًا أوليًا، بما في ذلك لغة الطفل، غير المتعلم، وقليل
الموهبة يتحرك فيما حسي، ويكون فقيرًا في المجردات، وأن
كل تطور أعلى سوف يذهب في الغالب إلى ما هو مجرد. ولكن
هذا لا يسري على الخط كله. فلا تفتقر لغات البدائيين إلى المجردات،
وتوجد في كل الأزمنة، حتى في لغات الثقافات العليا، عكس
ذلك أيضًا، الشكل الحسي للمجردات: جمال = امرأة جميلة،
الشباب = الشعب الشاب، ساذجة (Unschuld vom Lande)
وفي تطور اللغات المفردة يمكن تتبع عكس مستمر للتحول إلى مجرد،
وتحول إلى حسي، حيث تشارك في التأثير البواعث الأشد
اختلافًا. فحين أخذ يكون لكلمة ما معنى عام، فإنه لا يكفل بذلك
دائمًا أنه تحصل من خلال فصل (abstractio) حقيقي عن
معنى فردي موضوعي. ولا يطابق ما هو عام بشكل ثانوي بدرجة
أكثر أو أقل عملًا واعيًا للأذكار، إنه هنالك منذ القدم، وتحديدًا
في الإدراك والكلام البدائي.
ولا يستوعب الإنسان في التيار الملح للعيش على الإطلاق
كل شيء منفردًا بشكل حاد حسب ملامحه الفردية. إنه يفعل هذا
في الواقع، حيث يكون الاهتمام والإحساس مستديمين، وتحديدًا
يفعل الإنسان البدائي هذا بدقة وإتقان مثيرين للعجب غالبًا - وإن
لم تكن دائمًا مطابقًا للهدف. فاللغات البدائية تدل غالبًا على

التمييز الدقيق للإدراك بالنسبة للأشياء التي تعد مهمة للإنسان، وبالنسبة لظواهر الطبيعة أو خواص حيواناته الأليفة، ومصيده، وليس آخر الأمر لتلك التي للآخر. هنالك يعثر تحديدًا بالنسبة لردود الفعل النفسية، وملامح الشخصية على مقياس ثري من التعبيرات. وعلى العكس من ذلك تغيب غالبًا الأوصاف الكلية البديهية لنا. وهكذا تقدم الليتوانية، التي حافظت داخل عالم الثقافة الأوربية على كثير مما هو أصلي، أوصافًا (ألفاظًا) مميزة لرمادية الشعر والعينين، وللأوز، والخيل، والبقر، ولكن لا كلمة كلية لـ "رمادي". وحملت/ألقت الصينية على كلمات منفصلة لأنواع خاصة مختلفة في المفهوم: يحمل على الرأس tai⁴، وعلى الكتف tan¹، وبذراع متدلٍ ti²، ويحمل بين ذراعيه kiah¹، ويحمل في يده ch'i²، ويحمل باستمرار chih². ولدى اللابيين ٢٠ كلمة للثلج في مظاهر مختلفة، ولكن يفتقر إلى الكلمة الكلية له. ولديهم أيضًا أسماء متباينة لحيوان الرنة في عمر سنة، وسنتين، وثلاث، وأربع سنوات. ولدى بدو مصر أيضًا ١٠ كلمات للرمل في طبقاته المختلفة درجات تماسكه. وتحافظ ألمانيتنا على تسميات خاصة مشابهة، إلا إذا ١١٥
ملمح بدائي لأنواع الحيوان المفردة المهمة، لما بين السلسلة:
Ochse Farre Bulle – (بقرة) Kuh Färse Sterke – (جاموسة) Rind (ثور) – Stier (العجل) Kalb.

وعلى العكس من ذلك حيث لا تمس الاهتمامات الحيوية للإنسان، يكتفي، وما زال يفعل هذا في الوقت الحاضر، بنظر سطحي، ويقدم بشكل مبالغ سريعًا وسمًا أفقر في الرؤية، يستوعب ما هو نمطي فقط، ولا ينفصل الشيء عن صور قريبة أخرى بشكل كافٍ. فليس الطفل وحده بل البالغ أيضًا ربما يقول: "طائر" حتى لو كان قادرًا بشكل كبير على معلومة أدق. ولا ينزل الجرد حتى يصل إلى الفرد الفردي، بل يكتفي بوسم تقريبي. وهكذا الوجد، حيث يستطيع المرء أن يخمن إجمالًا، فصلًا أبعد. ويصعب كثيرًا أن تحدد هل يكمن مجرد موجود لطريقة الإدراك ما قبل العقلية هذه أو طريقة الإدراك المتأخرة المحددة ذهنيًا بالفصل لأصله.

وفي عصور مبكرة، يرجع إليها جزء كبير من التسميات السائدة في الوقت الحاضر، سمّى المرء تحديدًا الحيوانات في الأغلب حسب سمة [illegible] مفردة. فالدبلو يعني "الشادي أو المنبه"، وتتلازم الكلمة (في الألمانية [illegible] القديمة hano) مع الكلمة اللاتينية canere، وكلمة [illegible] (القمر) والقوطية mena قريبة للكلمة اليونانية μήνη [illegible] يعني "القياس". أجل يستخدم القمر لقياس الزمن. وعلى العكس [illegible] نشأت الكلمة اللاتينية luna من loucsne، التي تنتج lucere "يضيء"، وهكذا أحس اللاتين بصفة [illegible] أن بالسمة الأكثر أهمية الأخرى للفلك، أن يكون ضياء لليل.
ولدى المرء هذه الطريقة لتسمية الشيء حسب سمة سائدة وإن من التعبير سمة محدّدة لمعالمه، موصوفة بوسم محدد للعالم. وهو ما زال حيًا في الألمانية الحالية أيضًا، ولكن نمط البناء المستعمل غالبًا في التشكيل الاسمي للصفة وفق التصريف الضعيف: Der Reiche (الغني)، Alte (العجوز)، Wilde (المتوحش)، Kranke (المريض)، Tote (الميت)...إلخ. وحيث تؤخذ التسمية من نشاط، اشتقت ما تسمى أسماء الفاعل من الفعل مع اللاحقتين el- و er-، الثانية منهما باقية منتجة حتى الوقت الحاضر: Büttel (محضر)، Gürtel (حزام)، Meißel (إزميل)، Weisel (مائد/مرشد)، Bohrer (مثقاب)، Greifer (مقبض)، Richter (قاضٍ/حكم)، Jäger (صياد). وتمثل ما تسمى الأسماء المذكرة الضعيفة من الأفعال نمطًا قديمًا جدًا: Bote (ساعٍ) من bieten، Ferge (مسافر) من الكلمة الألمانية الفصحى القديمة ferian (يسافر)، وبعضها في الوقت الحاضر مضاف إليه n-: Tropfen (دمعة) من triefen (يدمع)، Kloben (قرمة خشب) من الكلمة الألمانية الفصحى القديمة klioban (يشق). فما أقوى الميل إلى هذه التسمية، أجل إنه إنساني عام، أمر تبينه تسميات طفلية، مثل: Summe "للنحلة"، Blase "للطبلة"، Rauche "السيارة".
لقد أخذنا حتى الآن العموم الذي هو في الوقت نفسه الوضوح المنقوص، الجوهر للتعبير المجرد. هذا هو الرأي السائد في الوقت الحالي. فالمجردات

تعنى تعبيرات، تنزل من خلال تشكيل ذهنى أعلى للواقع على درجة أو
١١٣ عدة درجات / وتبعًا لذلك لم تعد واضحة بمعنى تام. ولكن هذا الرأى
لا يسرى دائمًا، وهو ليس حتى قديمًا جدًا، وما تزال حتى الوقت الحاضر
الآراء حول علاقة المفهومين "محسوس"، و"مجرد" بعضهما ببعض
ليست جلية. ويفسر عدم التأكد هذا من تاريخ المصطلحين، اللذين
كان استخدامهما فى البداية استخدامًا محدودًا بشدة. وهما يظهران
ابتداءً فى النزاع الذى قاده الاسميون فى العصر الوسيط متأخرًا
ضد واقعية الشموليات (الكليات). هذه لم تنتظم لمفاهيم الذات
فقط، بل لمفاهيم الكيف (الصفة) أيضًا، وحتى لمفاهيم العلاقة
أوجه ذاتية عامة، وذلك فى شكل جوهرى، "الأحمر" ("الحمرة
(أو الاحمرار))، و"المساو" "التساوى". وقد أوضح أوكام ومدرسته
أن هذه الأبنية إما طبيعة أسماء فقط، ومتصلة فقط (بشكل تجريدى)
من أشياء الواقعة فى الكلام. وهكذا استخدمت المصطلح "مجردات"
لتلك الصفات المتحولة إلى أسماء ظاهرة. وفى زمن تال فهم المرء
ذلك التحول الاسمى للصفات المقصود لغويًا بشكل محض على أنه تجريد.
ولكن لم يطلق المرء على كل محسوس على الحامل الاسمى للكيفية، بل لهذه
نفسها، حيث وردت فى شكل الوصفى غير المتغير. فقد التصقت بكامل
أيضًا بوصفها "قدمتت" (محسوس لـ "concresco") - حيث تظهر
فى ذلك طبيعة ما رتبة إلى حد ما، واقعية لأفكار مفهوم الكيفية.
وهكذا كان لفظ "أحمر" محسوسًا، و"حمرة" مجردًا. وقد توصل ج. لوك
الذى اضطلع ببسالة بالكشف عن استمرار المعرفة الإنسانية، إلى طرح
نوع آخر إلى جانب هذه المجردات القديمة، أى تعميمات من خلال
الاختصار بترك سمات خاصة. وقد انتقده بشدة ج. ست. مل لذلك.
ولكن ما نفهمه فى الوقت الحاضر بشكل غالب، وفى الاستعمال اللغوى
العلمى أيضًا تحت تجريد، هو هذا. التدرج العلوى للمفاهيم
بترك سمات مميزة. وإلى جانب ذلك يرد فى الواقع فلاسفة
وعلماء نفس وباحثو لغة أيضًا عن المعنى القديم للكلمة بأنه السارى وغيره.
وهكذا يوجد نزعات مختلفات بعضها عن بعض للغاية، كلاهما
يسمى تجريدًا، وتقدم مجردات.
١- التجريد يعنى إبراز ("سحب") أجزاء مستقلة أو جوانب غير

مستقلة (علامات) من موضوع معقد أو مجال معقدة (تجريد منعزل)؛
هذا هو المفهوم القديم الموروث عن (اتجاه) الاسمية (حمرة، صلادة-
تساو- منفعة). وينحي هذا التحول الاسمي للصفات تحول مطابق
وتحول اسمي للأفعال الأكثر شيوعاً بدرجة كبيرة، حيث ترد تمثيلية
ربما كان الفعل صيغة التعبير الطبيعية لها، محولة أسماء: السير
(وقوع إما من). ومثل: حين تبنى صيغ قصيرة مذكرة قديمة
كثيرة: Teil، Schritt, Sprung, Stich (جزء، خطوة، قفزة، وخزة).
ولكن تمثل في الوقت الحاضر النمط الأقوى لهذه التحولات المجردات ١١٤
المؤنثة الموجودة منذ زمن جرماني قديم مع اللاحقة -ung: Mahnung
(تذكير)، و Züchtung (انكسار)، Brechung (انفصال) Scheidung، و
(تربية))، و Festung (حصن)؛ وتبين الأمثلة الأخيرة أن المعنى هنا وهناك
يؤدي بين حركة وشيء، أي أن Kleidung (ملابس)، و Festung
(حصن) فقط الآن معنى شيء، ويعبر عن الحركة هنا من خلال مركبات:
Bekleidung (لباس)، و Befestigung (تحصين) (تبع Festung الفعل
'vesten' الذي لم يعد مستعملاً؛ لذلك يوجد في الوقت الحاضر الفعل "befestigen").
ويمكن أن تضغط جملة كاملة في تلك الكلمات Instandsetzung (إصلاح)،
و Grundsteinlegung (وضع حجر الأساس). وثمة حالة ثالثة خاصة جداً
هي قلب فعلي، لأن لها خاصة نظام كاملة، إذ يمكن أن تبنى الصيغة
لكل فعل: المصدر. هذا في الوقت الحاضر، وهو ما ربما كان جرمانياً
قديماً أيضاً، اسم حقيقي. ويبدو أنه منذ زمن جرماني قديم قد خرج
يقرب أكثر إلى الفعل من الأسماء المذكورة الأخرى من الفعل، وتوجد
هذه الحال حتى الوقت الحالي. المصدر فقط يستخدم في تراكيب
كثيرة جداً من فعل تام وفعل مساعد أو صيغي، صارت بدرجة أكثر
أو أقل صور امتزاج ثابتة: "ich werde schlafen" (سوف أنام)،
"Ich kann, will, muß schlaffen" (أستطيع، أريد، يجب أن أنام).
ولكن لأن المصدر هناك طبيعة فعلية، لم يقل بشكل صحيح، الامتزاج
كله يتملك. الأحرى أن الطبيعة الفعلية تتجلى فيما نسمي "Gerundium"
(مصدر من فعل): (um) zu schlafen„ (حتى (أن) ينام))، وهو ما
يقع موازياً مع "damit er schlafe" (بذلك ينام)، وفي صور ربط
أيضاً، مثل "er geht schlafen, spazieren" (ذهب لينام، ليتنزه).

وثمة أمثلة لمصدر اسمي حقيقي، قارن بوهم خاص: Wesen (في الوقت الحاضر منعزلة من خلال انتشار الفعل) "طبيعة جوهر"، Leben (حياة)، و Leiden (معاناة)، Verlangen (مطالبة). وحتى زمن الألمانية الفصحى الوسيطة وجدت للمصدر صيغ حالة إعرابية متصرفة أيضًا: des slafenes، mit slafene (للنوم، مع النوم). كل هذه الأبنية للاسم، الراجعة إلى صفات أو أفعال، نشأت من خلال انتقال إلى نوع آخر للكلمة، ليس النوع الطبيعي الغاية لمفهوم؛ لهذا ما أبرزه بوهم خاص ٩. مارتي. ولذلك أريد أن أصف النمط Konversa (متحولات، مقلوبات)(٨)

١١٥ / وتعد المتحولات أداة قيمة للغاية للفكر اللغوي يمكن أن تحمل أيضًا أشياء منجزة على هذا النحو أو شبه أسماء. ويحشر معنى الجملة بوصفه إنجازًا متحققًا في تعبير، في الغالب كلمة مفردة لجعله الموضوع (الفاعل) لقول آت: "السماء حمراء تمامًا" – "حمرة السماء تشير إلى حريق" "أمر مجلس الشيوخ تحطيم جيش كورينث" – دل تحطيم كورينث على نهاية الاستقلال اليوناني". هذه الصيرورة للفاعل لمضمون موضح من قبل للجملة كما قال بورتسيج[٢٨] بشكل ذي مغزى – ومتجاوز إلى حد ما – الأساس لكل نقد للأفكار. ويضيف بورتسيج أن تجريدًا حقيقيًا لتشكيل موضوعي دائمًا لمضمون جملة انطلاقًا من المحمول؛

---

(٨) ربما يتبع الميل إلى تحويلات شكل الحياة للغاتنا الهندوجرمانية أساسًا. ولا توجد متحولات تحت أسماء فقط برغم أن هذه الأكثر غزارة والأهم لاعتبارنا، ومن ثم مناسب للغرض، مع أو. يسبرسن، في فلسفة النحو، ص ١٢٢ وما بعدها تعزل بوصفها أسماء علاقية عن الحالات الأخرى. (إشارة من ج. ديترز). لأنه مع أنواع الكلمة الأخرى أيضًا نقابل بتحولات مناسبة. وهكذا توجد تحت الأفعال متحولات اسمية، ووصفية أيضًا، وتحت الصفات متحولات فعلية واسمية أيضًا.. إلخ. ولكن كل هذه ليست ذات تأثير قوي في توجيه الأفكار

حول تحويل صفات وأفعال إلى أسماء، انظر أيضًا م. دكولي، حول نظرية بناء الكلمة (في المجلة العلمية لجامعة كارل ماركس ليبزج ١٩٦٨)، وبوهم خاص ص ٩٠.

(٢٨) ف. بورتسيج، مجلة الفلسفة الألمانية، ٤، ص ٦٦ وما بعدها.

إنه يقيد إذن المجرد بشكل واضح في حالة القلب (التحول).
٢- ثمة طريقة مغايرة تماماً لبناء المجردات، أبرز أهميتها ابتداءً لوك، هي التعميم من خلال اختصار ("تجريد معمم"(٩)) وهو لا يرجع مثل الأول من الموضوع إلى سمة منفصلة مفردة، بل يضمه بوصفه كلاً، ويحقق اختصاره مع موضوعات أخرى ليست مماثلة، ولكن ذات قرابة، بأن يقيد ما هو مشترك ويمحي ما هو فاصل. وهكذا يصل إلى أعلى، ومن المحتمل متجاوزاً إلى درجات إدراك أخرى متقدمة أيضاً. هذا النهج إذن نهج متصاعد، أو سمي إن صح التعبير. والتجريد هنا تصنيف متصاعد، ونتيجته ربما كانت "وحدة مثبتة في النوع بشكل متقدم"، والهدف الأخير الممكن تدريجاً للمفاهيم. انظر مثلاً السلسلة: سرقة - تعد على خصوصية - جريمة - فعل مضاد للمجتمع ... إلخ. والنموذج المثالي لهذا الربط المتصاعد، مجرداً بشكل واقعي للغاية، بتطابق من نظامين كبيرين للاصطفاء، يمكن أن يمثل لنظامية فصائل الحيوان على نحو ما تنتج عن نسب الأنواع، حين يعرفه المرء في اتجاه معكوس. فمن "حصان" مثلاً يخرج الخط إلى الجنس "حيوان ذي حوافر"، ويتبع أيضاً: Unpaarhufer، Huftier، Säugetier ... إلخ. كل هذا يتبع في هذه الحال حقيقة وحدة كبيرة متعددة الدرجات لنوع أعلى، لما تثبته النظرة الخاصة بتاريخ التطور.
وانطلاقاً من النهج ذاته يمكن أن نرى أيضاً خط حوافر ذاتياً تماماً وهو في الواقع أيضاً، هذه المرة واقع خاص بتاريخ الثقافة، خط جذري للتجريد، يكون سريعاً جداً إلى النهاية: حصان - حيوان أليف - (مزرعة). وثمة سلسلة ثالثة أكثر خصوصية، مفهومة من ناحية تاريخ اللغة والثقافة فقط هي: حصان - (حيوان) مروض. وكما الكلمة الأخيرة، اسم جمع، ١١٦
في الوقت الحاضر بشكل أدبي فقط (لهجة شوابية، وفرانكية) في معنى "حيوانات أليفة (داجنة)"، ولكن الكلمة الألمانية الفصحى القديمة zabar دلت على "ضحية"، وفي الأنجلوساكسونية القديمة أيضاً tiber، وربما في النوردية القديمة أيضاً tivurr "ضحية". المفهوم الحي بدرجة أكبر حتى الوقت الحاضر المفهوم المضاد

---

(٩) الجزء الأعظم للغاية من كلمات تقريباً كل اللغات هو ألفاظ عامة " (لوك).

"غير المروض (الداجن)"، وكان معناه: "ما هو غير جدير بالتضحية"، أي بلا قيمة أو غير بحت مطلقًا". فالمرء لم يضح في الغالب إلا بحيوانات أليفة، لذا ما كان له قيمة للإنسان يجب أن يكون للآلهة أيضًا. ومن المحتمل أن المعنى الأساسي قد اشتمل على كليهما، حيوان أليف، وحيوان أضحية.

والخط الأخير تفريع للخط السابق، ويتبين هنا أن المرء حسب الاهتمام يمكنه أن يجري بشكل مختلف خطوط التجريد. ولكنها كلها متجذرة على نحو ما في الواقع، وإن لم تكن إجبارية مثل خطوط النسب للأنواع. ويستطيع المرء أن يرى تفرقة بين بناء طبيعي للجنس (مثال ذلك: الخطوط الرئيسية للحيوانات) وبنائي (الحالات المذكورة الأخرى)، ولكن الأخير أيضًا ليس تعسفيًا. فهو يتسع فقط مجال الآخر، ذلك المجال الثقافة، ومن ثم للعقل الموضوعي؛ هنا يجد في كل أساسه الكافي.

VI

إن تحديد علاقة المجرد بالمحسوس يصعب للغاية من خلال استعمال نوعين من المجردات تقف من المحسوسات موقفًا مختلفًا. وهكذا أقام المرء الحدود على نحو متباين جدًا. فمن ناحية مدّ ن. هارتمان مجال "المحسوس" إلى مدى بعيد للغاية. ولديه تعني الكلمة مع ذلك، التي عُدّت تلازمًا لكل نوع من مقولات، كل ما يخضع لتشكيل زائد أم على نحو أفضل تغلغل من مبادئ النظام هذه، ويضم أيضًا جزءًا أكبر من وجود مثالي، ومجالات الرياضيات (أمثلًا الأعداد)، وصور الذات، والقيم إلى حد ما، بحيث يمكن هنا أن يوجد محسوس عام أيضًا. ويقول هارتمان بوضوح إن مقولات أعلى يمكن أن تبنى المحسوس للمقولات الأساسية.

ومن ناحية أخرى يستطيع المرء انطلاقًا من اللغة أن يتشكك في مسألة هل توجد محسوسات أساسًا.[10] ليست فقط ألفاظ تصورية عليا مثل: علاقة، جوهر، منشأة، بل أسماء الأشياء الفعلية أيضًا (صور المبادئ)، التي تعد بوجه عام جزءًا رئيسيًا من المحسوسات، مثل: بيت، كلب، كريستال،

---

(١٠) انظر مثلًا ماكس مولر: التفكير في ضوء اللغة (١٨٨٨)، ص ٤١٨.

تسمى هنا دائما أنواعا تامة من أشياء، وليس الشيء الفردي، أو
تلك في مسار الجملة ابتداء انطلاقا من النوع (من خلال قصر تركيبي: ١١٧
كلب الجار، هذا الكلب، الكلب (أي الكلب المعروف أو المذكور
آنفا أو التابع لنا). ويعد لوك مثلا كل الأسماء المنادى من
"الأفكار المجردة" حتى الأعلام، وما تسمى Unica (أحادية الدلالة
أيضا)، أي ألفاظ تسمى قيما موجودة فقط، مثل شمس،
وأرض، وسماء، لأنه من خلال ذلك قيمة الدلالة، وهي أن الشيء
المقصود عند تلاوة متكرر قد حُدِّد بأنه "نفسه"، وهكذا انتهى إلى
تسمية ثابتة. هنا أيضا إذن اختصار لنتائج مختلفة حول كل ما
يُعد وصفا للتجريد.

ربما كان الاستدلال الآن مبررين. فهارتمان تقصد مقولات واقعية
ولوك والآخرون يقصدون مقولات المعرفة واللغة التي تنجز كلا منهما
من خلال إعادة تذكر ملموسة، وتتطابق مع مقولات ما هو واقعي
بشكل جزئي فقط. ويبدو ممكنا أن يؤخذ بين الطرفين
نهجا أوسط له مزية أن ينسجم مع الاستعمال الساري للألفاظ.
ويجوز بوجه خاص أن يقول المرء أن المحسوس والمجرد ليسا
متقابلين مطلقا، وربما يكون المرء مجبرا على الاختيار بينهما
في حال مفردة؛ إنه تؤخذ بالأحرى نقاط حدية "لبعد"
يمتد بين صياغات لفظية قريبة من الواقع وبعيدة عن
الواقع، مجردة ذهنيا بدرجة عليا، وينتهي في أبنية بالغة التجريد.
إذن يبين لنا المجال اللغوي كيف تلك التي للمعرفة تتابع
درجات متصاعدة للتعميم، وانفصال عن الرؤية حتى الأبنية العليا
ذات الطبيعة الذهنية بشكل محض. ويقصد المرء الأخيرة بصفة
خاصة حين يتحدث عن لفظ مجرد. ويستطيع أن يشير إلى نقطة
الانتقال من المجال الواقعي إلى المجال المثالي، ومن هذه الناحية
يكون لبعدنا "منحنى". بديهي أنه يدخل تشكيل عقلي في كل
في الإدراك، وخطابه المباشر. ومن هذه الناحية ربما كانت كل
كلمة مجردة، حين تسمى مجردة: "مشكلة ذهنيا أساسا". ولكن
القفز الفاصل إلى الآخر، المجال العقلي، ومن ثم من ناحية لغوية
إلى المجرد يحدث هناك حيث لم تعد تذكر أسماء، بل لا أشياء

حيث يقال ما لا يوجد على هذا النحو. يوجد حصان، ولكن لا يوجد
Einhufer؛ توجد الكواكب، ولكن لا يوجد جسم السماء. وبذلك
لدى المرء حد واضح: المجرد هو ما لا وجود له إلا في العقل الإنساني
ولكن ليس كل ما في الإدراك وشكل لغوي يتضمن أساسًا ملامح
تشكيل عقلي. وتبقى محل شك، وربما مختلفة أيضًا وفق النمط النفسي
مسألة هل يقع تحلل تام عن الرؤية حتى في درجات عليا للتجريد.
ويقر هوسرل أيضًا لمفاهيم ذات درجة عليا برؤية مجردة، ويرى
ى. ك. يونج أن بقية شيئية، صدى الإدراك لم يزل في الداخل ١١٨
حتى درجات أعلى للتجريد.

أما مجال محسوسات عملية كما أفهمه فيصل بعيدًا، حين نقصد
وجود حقيقي مباشرة، لهذا لا يعني في درجة تشكيل أعلى، وجود
يقع إما في المكان والزمان في الوقت نفسه أو في الزمان فقط؛
هذا يعني حتى مجال "العقل الشخصي" (ن. هارتمان)، الذي
يقع وجوده في الزمن. وتصف محسوسات لغوية أجزاء العالم
الواقعي التي تكون متاحة للإدراك أساسًا، ويمكن أن تكون
إما خاصية تامة للشيء (كريستال)، أو خاصة للمادة (حديد) أو تسمى
كيفًا أو كمًا في شيء أو مادة (أخضر، صلب، عالٍ) أو يمكن أن
تقصد عملية، يمكن أن تكون من نمط خارجي (يحرك، ينادي، يفجر)
أو من نمط داخلي (يغضب، يفرح، ينعم النظر، يتحمس)، أو أخيرًا كيف
أو كم في ذلك (عالٍ، بشدة، داخليًا). ولكن المحسوسات يمكن
أيضًا أن تعبر حتى عن علاقات مكانية أو زمانية: أمام مبنى
البلدية، قبل عيد الفصح أو علاقات سببية أو غائية: (إذا أن، لأن،
بذلك، لكي، حتى)). "لأن الماء يجرفها، تنزلق خلف المنحدر" لهذا يعاشر
الإنسان بوصفه الإدراك الأوضح، ويمكن أن يقال في صياغة مباشرة
فيما يبدو، برغم أنه من خبرة أقدم قد دخل في هذا الإدراك جزء من
تشكيل عقلي. ولنطاق حدث داخلي، لا يقع إلا في الزمانية، طريقته
الخاصة للاقتضاء، أي من خلال خبرة (معرفة) داخلية أو من خلال إدراك
غير ذاتي مميز ونتائج قياسية. وهكذا يتطلب بالنسبة للألفاظ اللغوية
لهذا النطاق حكم خاص، فإن هذا ليس من دون تبرير. ويستطيع المرء
أن يسمي هذه الكلمات لحدث نفسي متلائم مع رايشنباخ "Illata" (مستنتجات)

وقد أتيت فيما بأمثلة لحركات عمداً في صيغة فعلية لئلا نعطي حجة
للتقليد القديم الذي يقصر الفصل بين محسوسات ومجردات على الاسم،
ولم تعتبر تماماً الأنواع الأخرى للكلمة. لأن هذا حسب علمي ممكن، ومن ثم
قدمتم لكي يشمل البحث على الأنواع الأخرى أيضاً، الفعل، والصفة
وحتى ألفاظ العلاقة (الحروف والروابط). ففي كل يمكن أن تكون
محسوسات، حين تظهر في صياغة بسيطة. وعلى العكس من ذلك
لا ينبغي أن تسمى "أسماء الأشياء" عقلية محسوسات. وحيث يؤدي
اختصار لما هو مختلف مع ترك ما هو فاصل إلى درجة تشكيل أعلى،
تنشأ هذه الأشياء العقلية، التي تدخل في مجال الوجود المثالي.
وحيث يتجاوز الوجود المثالي ما هو واقعي، يبدأ مجال المجردات.
وتتضمن أيضاً إشارات إلى ما هو واقعي، ولكن إن صح التعبير
في تشكيل زائد ثانوي أو أعلى. ويستطيع المرء أن يقول إنه
ببساطة لا توجد مجردات مطلقاً، إنما إذن مجردات "من أعلى"،
ومن ثم في الختام.

شيء واحد يجد بصعوبة موضعه في بعدنا بين القطبين:
المجردات من خلال قلب (تحول) نوع الكلمة، النمط الموروث
من الاتجاه الاسمي "حمرة". وفي الواقع يبين قرابة بالآخر،
لأن النوعين يكمن في ملاحظة ملامح مجردة وترك أخرى.
ولكن المسلك في ذلك معكوس، فالنوع لا يلتفت إلى
الجزء الرئيسي، ويقتصر على السمة المفرزة. ولكن ليس
من الصحيح أن يقال، إنه يتقدم إلى ما هو عام بأن توجد مرة
أخرى السمة (الكيف "الحمرة" في أشياء أخرى)، وهكذا
منها يبنى نوع. وليست صور الكيف قادرة على بناء النوع.
وتتكون أنواع من أفراد، أي تركيب وحدة لا الخاصة ذاتها،
ولكن ليست الكيفيات أفراداً، بل، حين يركب المرء "Dividua"
(أقساماً). حين أجد على نحو متكرر حمرة متشابهة في ثوب،
وردة ... إلخ، فإن الحمرة ذاتها، وليست حمرة مماثلة. ولا توجد
فردان منفصلان من حمرة مماثلة، في حين إنه يمكن أن يقدم فردان
من وردة مماثلة. فمن الحمرة لا يوجد أساساً فردان، صور وورود
مختلفة فقط. وربما أستطيع أن أبني من أنواع مختلفة "للحمرة"

المفهوم الجامع "فروق حمرة دقيقة"، الذي ربما ليس نوعاً، بل على
كل حال جنساً، إذ إنه لم يجمل ماهو مماثل، بل ماهو مختلف.
ونوعي وجوده الآخر بالجمع، ولا ترد مفاهيم النوع جمعاً.
وليس في مجال الكيفيات فقط، بل في مجالات واسعة
لما هو واقعي لا توجد أساساً أنواع مطلقاً. وتوجد بالمعنى البالغ
الصرامة فقط هناك، حيث توجد أفراد، أي تراكيب وحدة تامة،
تمثل حالات المثلى الكائنات. أجل، في نظر دقيق تقريباً في مجال
الكائنات فقط، وفيما هو غير عضوي شكله الإنسان على نحو زائد،
في أدوات، وفضلاً عن ذلك بشكل متباعد فيما غير عضوي حر لنظام
الصم الوسطي، الذي يشكل بنيتنا الفعلية، المساحة للإدراك.
هنا قد يكون الكريستال المثال الوحيد، حتى لا جدال فيه تماماً.
لنأخذ: حجراً، وصخراً، وكومة، وكثيباً، و(ثلوجاً) متراكمة، وسدادة
ثلجية، وجبلاً، وبحراً هي هيئات عارضة للمادة، بلا وحدة فعلية،
بلا تركيب. ويستطيع المرء أن يزيل منها، دون أن يهدمها، ما
لا يستطيع المرء مع أشياء. ونجد أشياء غير عضوية حقيقية
ذات تركيب ووحدة ابتداءً مرة أخرى في مجال ماهو بالغ الصغر
(جزيء، وذرة، والكترون... الخ)، وفي مجال ما هو بالغ الكبر
(نظام الأرض، والنظام الشمسي، ونظام درب التبانة).
وحيث يكون المرء جواداً، فإنه يستطيع أن يسمي في كل حال
أيضاً عمليات، تتكرر في شكل مماثل بدرجة أكثر أو أقل، بشكل
نوعي: تشكلات الهضاب، وأعاصير، وبرق ورعد، وردود
فعل كيميائية، أوبئة لأمراض معينة، ومجريات (أحوال) نفسية،
وحركات تاريخية مثل الثورات، ومع أقسام على العكس
من ذلك، ومع مواد، وقوى، وأشكال مكانية، ومع كيفيات
أيضاً لا يجوز أن يتحدث المرء عن أنواع، وربما يكون هنا
في كل مكان مفهوم الجنس في مكانه. ونستطيع أن نتحدث ١٢٠
عن أجناس للمعادن وشبه الفلوات، وأجزاء المخروط، وإشعاعات
الطاقة، والألوان، ودرجات النغمة. كل هذه مجردات حقيقية.
ويكون الجنس، خلافاً للأنواع، دائماً مجرداً، لذا إنه ينسجم مع ماهو
غير مماثل. وفي مجال الأقسام يستعمل التجريد إذن بشكل مباشر خارج المحسوسات

المفردة ، هذه بشكل عام بلا موضع بيني للأنواع.
وتقع الكيفيات من هذه الناحية أيضًا قريبة من المواد، بوصف مثل هذه، من دون شكل خاص أو حتى تركيب، يمكن أن ترد على نحو منتشر للغاية ولكن بينما يمكن أن تتلقى مادة على الأقل شكلاً من الخارج (قضيب حديد، مكعب سكر، كيس دقيق)، فالألوان، وكيفيات أخرى حسب طبيعتها بلا شكل، لأنها ليست كلاً، بل جزءًا غير مستقل، فهي يمكن فقط أن تقع في شكل. وتقع عمليات مرة أخرى قريبة من الأشياء، فهي مثل هذه يمكن أن تحدد من خلال كيفيات. وتسمى ألفاظ الكيفية لا ظروفًا، وتكون فقط نوعًا من الظروف (يصطدم بشدة).
ولا يظهر "المجرد" من النوع القديم أيضًا على عاملين آخرين للعلامة ذاتها للمقارنة، وللوصول إلى بناء للنوع. فالعارض "حمرة" يبقى لصيقًا بحامله (حمرة السماء)، ولا يقارن بحمرات أخريات. ولا يصير ذهنيا، إنه مشكل نحويًا فقط) مستغل على نحو آخر فقط ومن خلال ذلك بطريقة جديدة قادر لغويًا على وظيفة. وأحمر وحمرة، ويسير ويسر لا تبين فارقًا في ارتفاع نهج التفكير، فقط في عرض لغوي، فهي تسلك مسلك إنجاز فكري فعلي ونتيجة للإنجاز الفكري المحقق، الذي حدث في المادة المماثلة تمامًا. وعلى العكس من ذلك حين نبني لـ"حصان" المفهوم العلوي Einhufer (حيوان ذو حوافر) أو "حيوان أليف" أو "حيوان أضحية" أيضًا، لا يسمى نهج التفكير هو نفسه، فهو يصل إلى أبعد (أو: أعلى)، ولذلك أنفر في السماوات[1] متفوقًا خطوة عما هو واقعي. ويسمى شيء ما هو غير موجود. ولا يوجد حيوان ذو حوافر بما ليس كذلك حصانًا أو حمارًا أو حمارًا وحشيًا.
والتجريد حسب الحال I ليس أساسًا شأنًا ملزمًا بوجه عام للفكر، بل واقع ملاصق لنمط اللغات الهندوجرمانية (وعلى كل حال بعضها مبني على نحو مشابه أيضًا). هذه اللغات مع تعارضها الحاد للفعل والاسم تقدم إمكانية أن تورد أيضًا من خلال قلب نوع الكلمة

---

(١) لا يجوز أن يقصد "حيوانًا قابلاً للتضحية" يتضمن سمة جديدة في مقابل "حصان"، فالنسبة للجرمان كانت في حصان السمة "أضحية" متضمنة أيضًا.

الذى يعد نحويًا نحويًا، وليس نحويًا نكريًا، تورد القول فى شكل سلاسل.
وفى لغات ذات بناء آخر، مثلاً فى الصينية، ولغات أخرى
عازلة، فى الملاوية - البولينيزية، والأمريكية / ولغات الإسكيمو ١٢١
ربما لا يكون هذا التحول للصيغة ممكنًا، لأنه لا توجد هناك هذه الإمكانية
لتعارض أنواع الكلمة. ولكن ربما يكون ممكنًا بشكل كبير فى هذه اللغات
بدرجة مختلفة - اختصار معمم، لأن هذه إمكانية فكر إنسانى، وليس
التشكيل اللغوى فقط. وتقدم أمثلة مميزة لهذه الجهود المجردة
لدى شعوب لا ارتفاع ثقافى لدى أيضًا ما تسمى لغات
الأقسام التى تبين مادة الاسم مرتبة حسب وجهات نظر عامة.
هذا يحدث أحيانًا فى شكل ظاهرى جدًا، ولكن لغات البانتو
مثلاً أنجزت نظامًا مبنيًا بشكل منطقى جدًا وفق وجهات نظر
موثقة موضوعيًا إجمالاً، حيث يُسبق كل اسم مفهوم تجريد
بوصفه مؤشرًا، نظام يتجاوز حتى من الكلمة إلى تركيب الجملة،
ويعطى للجملة مفصلاً ثابتًا جدًا. ويجب أن تكون الهندوجرمانية
المبكرة جدًا أيضًا قد عرفت بدرجة كبيرة هذا البناء للأقسام.
وفى زمن تاريخى من ذلك بدى بقى تفريق الجنس بوصفه
بقية مفسرة بصعوبة (مذكر، ومؤنث، ومحايد)، الذى له
وظيفة مفيدة هناك فقط على كل حال، حيث توضع الأجناس
الطبيعية بعضها فى مقابل بعض (أيل - أيلة)، وبوجه خاص
فى حالات تبادل الأجناس من أجل حاجة تعبير: Hemme
جبان، Dragoner (= امرأة مسترجلة)، وفى الإيطالية donnone
بالمعنى ذاته. ولقد نوقش المعنى الأصلى للجنس فى الهندو
جرمانية مدة طويلة من دون نتيجة حاسمة. ولكن لا يبدو أن
الجنس كان المنطلق، بالأحرى تفريق بين حى وغير حى.
وربما تضافرت عدة وجهات نظر، وبذلك للتقسيم أيضًا.
وما يخص القرب من الرؤية فإنى لا أستطيع أن أقتنع
بأن مثلاً "مر إلى إماوس" ربما أفقر فى الرؤية من "اثنين منهم
ذهبا إلى إماوس". الأول أكثر اختصارًا أبعط فى العرض، فالجملة
اختصرت فى قبضة مفردة، فى حين أنها توضع فى الحالة الثانية
فى مجراها. ويستطيع المرء هنا أن يستخدم مصطلحات علم

الجبر اللغوي[٢]، وليقول، العملية في الحال الأولى تُدرك "بشكل معقد" في فعل وحدة، وفي الحال الثانية تُرى "بشكل مائل" في الزمن (ربما يتضح كلا التعبيرين من ذاتهما). ولهذا شأن نحوي - عرضي، وليس من أن تشكيل الفكر، المسافة إلى الواقع، ولا يستغير ارتفاع الطبقة ليصبح التعبير، ولا ينجز صعود إلى مجال الوجود المثالي. وربما أجهد المرء هنا حقيقة نحوية، حين نقلها إلى ما يخص نظرية المعرفة.

/ وحين يُفهم "مجرد" حسب الاستعمال اللغوي الحديث بأنه بعيد عن الإدراك لأنه ذو مرتبة عليا ذهنياً، إذن يصدق اللفظ على حالتنا الثانية، وليس على حالتنا الأولى. ووفقه الاستعمال الحالي للحالة ٢ الجوهر الأكثر في أن تُسمّى مجردة، وسميت كلمات الحالة ١ بشكل عملي "متحولات". ولكن إذا تشبث المرء من أجل نتيجة تاريخية بأن تُسمّى كلمات الحالة ١ مجردات فإن الحالة الأخرى تحتاج إلى اسم جديد، وربما يوصى تعبيراً عن جوهر الذهني الموسوم بـ "Ideata" (أشياء مجردة). وعلى أية حال ليس ممكناً أن يبقى الذهنين مسميين على نحو مماثل، إذ إنهما يتبعان مجالين مختلفين. وفي عرض خطي (بياني) قد تشغل فيه المحسوسات الواضحة والمجردات الواضحة نقاطاً حدية في خط، ربما يشار إلى مكان متحولاتنا بصعوبة على نحو آخر غير بالقرب من القطب الحسي.

وفي الواقع توجد تحت المتحولات الفعلية مجردات صحيحة أيضاً، مثل "مشروع". ولكن هذا ليس مجرداً لأنه نقل عملية أو تركيب من عمليات، بل لأن الفعل المنطلق كان مجرداً، وتحيط الكلمة باتجاهات ممكنة مختلفة للمعنى: تسلق جبل، وبناء نفق، وتأسيس محل... إلخ. (بالنسبة للشكل للكلمة إمكانية التحول إلى المحسوس، ويمكن أيضاً أن يوصف المشروع المفرد بكل ما يتبع ذلك. ولكن هنا لا تكون هنالك كلمة أخرى إن صح التعبير).

---

(٢) حول ذلك إ. هرمان، بحث هندو جرماني ٤٥ (١٩٢٧). و إ. كوشميدر علاقة الرمز واللغة، أسئلة أساسية للغة، جزء ١١ (١٩٢٩). و إ. زايلر، أعمال المؤتمر الدولي للغويين ٦ (١٩٢٦)، ص ١١١ وما بعدها.

وثمة ملاحظة أخرى توضع حول المتحولات الفعلية. فنحن نفترض أن الصيغة الفعلية معها تكون المقدمة بشكل طبيعي والأولى أساسًا. ولكن لا يجب أن نبني كل اسم فعلي من الفعل الحقيقي، فربما لم يكن لجزء نووي من أسماء بالغة الأهمية صيغة أخرى مطلقًا غير هذه الصيغة الاسمية، أي الألفاظ للعمليات وأحوال نفسية (Illata). مسميات

أي أن الأبنية البسيطة، التي لا تبين لاحقة اشتقاق ما تزال حية متأخرة: Haß (حقد)، و Zorn (غضب)، و Wut (سخط)، و Mut (شجاعة)، و Geist (روح) يمكن في هذا التشكيل أن تكون أولية، ومن جهة أصل الأفعال المستخدمة، حيث تقع تلك الأفعال إلى جانبها. وهكذا فإن Zorn أقدم من zürnen (يغضب)، الذي اشتق منها. والعمليات والأحوال الروحية، وإلى حد ما أيضًا الجسدية، التي لها سيطرة على الإنسان، والتي شعر بحسها وزها لا من دون إرادته، لم تعلم فهمها إلا متأخرًا إلى حد ما. وهي لم تكن بالنسبة له مجردات، بل realissima (واقعيات)، قوى، تخيفه وتهدده بشكل كافٍ غالبًا. ووصل هذا الرأي إلى تشكيل أسطوري تام. وعلل مستعمل الرأي بأن هذه القوى قد عدت جوهرًا (طبيعة) إلهية أو غيبية؛ ونترجم φόβος عادةً بـ "رعب"؛ وكانت شخصًا بصورة بالغة "المفزع". ولدى هومر هو أيضًا ابن الآلهة، ابن آريز (إله الحرب). وأشباه الآلهة، التي تدل على حركات، وعمليات روحية أو جسدية، آريز (إله الحرب)، و Eros (إله الحب)، و Hypnos (إله النوم)، و Thanatos (إله الموت). وكان الموت بوجه خاص لدى كل شعوب العصور القديمة، وفي الواقع إلى حد ما له حتى الوقت الحاضر مثل هذا الواقع الأسطوري، وأن هذا الاسم لا يصف ذاتًا، بل لا شيء آخر غير حدث، ويجب أن يكون المرء على بينة بوضوح على وجه التقريب. وتسمح الكلمة الألمانية فعلًا، هذا هذه المرة أولى، واستمر حيًا حتى الألمانية الفصحى الوسطى مثل touwen، و töuwen؛ وفي الإنجليزية ما يزال حيًا في الوقت الحاضر to die (أن يموت). ويجوز فضلة عن ذلك أن يقول المرء على نحو ملائم إن لا اسم العملية من الطبيعة يسكن قوة مجسمة، وفي الغالب تثبت في الروح، يمكن أن

نشعر بشكل مناسب؛ انظر مثلاً: برق، ولهب، وطفح جلدي - حمى، الطاعون الأسود - الموت، والقتل، ومعركة، ورحلة.

V

بين قطبي تجريد محسوس - مجرد، بغض النظر أيضاً عن التحولات، لمجموعات كلمات أخرى مكانية، تمارس اختصاراً، وفي ذلك تبقى قريبة من الإدراك، ولكنها تتجاوز إلى حد ما الإمكانية الفعلية للرؤية، ببساطة من خلال مقاييس. إذ أعني هنا تمثيلات ما هو صغير جداً، وما هو كبير جداً، بل ما هو مركب. ويقدم النمط الأبسط أسماء الجمع، اختصار لأغلبية غير محددة[٧] غالباً لأفراد متماثلين في لفظ مفرد، [١٤]حيث يوضع من خلال ذلك في الذاكرة وحدة ذهنية في الوقت نفسه[٢١٤] إذن تشكيل ذهني، ولكن ليس تدرجاً علوياً فعلياً، نعده وصفاً للتجريد الحقيقي. وفي الألمانية والهولندية قد صار نمط موحد جداً للتشكيل الجمعي سائداً، نمط الكلمات المحايدة مع السابقة "-ge"[١٥] Gebirge (سلسلة جبال)، وGewürm (ديدان)، وGezweig (أغصان/ أفرع متشابكة). ولما كما رأينا، بمعنى دقيق، تقدم أنواع حقيقية فقط إمكانية الاختصار، فإن أسماء الجمع تقتصر تقريباً على كائنات عضوية، تتعلق في الأغلب بالبشر. وتشتمل أسماء الجمع إما على النوع كله أو على جزء محدد من ذلك، ومن ثم تفترق أسماء جمع كلية عن أسماء جمع جزئية.

وتشتمل أسماء الجمع الكلية على كل أفراد النوع، ولذلك [illegible] مع بناء الأغلبية، الجمع: Laub (ورق)، وGras (حشيش)، وSchilf (أعواص [illegible])، وWild (غابة)، وVieh (ماشية)، وGewürm (ديدان). - Polizei (بوليس)، Militär (جيش)، Geistlichkeit (رجال الدين)، Christenheit (نصارى) -

---

(١٢) ولكن: "مضمار" (مع حيوان صيد) محدد العدد.

(١٤) هكذا لا تتبع "أخوة" و"أخوات" هنا، فهي في الغالب صيغة جمع. ومع "والدين" (قصيدة هيلدبراند) sunufatarungo يرد مرج أخرى بشكل ثنائي محدد العدد.

(١٤ أ) ي. إرب، حول تاريخ أسماء الجمع [illegible] في الكتاب التذكاري لـ ليو فايجر، ١٩٥٩، ص ٢٢١-٢٢٨.

(١٥) انظر ف. فيلمنس، النحو الألماني II ١٨٩٩، فقرة ١٩١.

و Art (نوع)، و Gattung (جنس)، و Klasse (قسم)، ومع ذلك في اللغة - ربما بشكل متأخر - الحالات مهمة بوجه خاص للإنسان، هي أسماء الحيوانات، ١٢٤ التي توجد إمكانية اختيار عدد معين بمساعدة ما تسمى مخصصات Numerative "معددات"، مثل Stück (قطعة)، و Haupt (رأس)، "قطعة، عشر قطع ماشية، وفي الإنجليزية 'a piece (head) of cattle'. ويوجد النهج ذاته في اللغات الأكثر اختلافا؛ فالصيني يقول: ثلاث قطع من سفن، والملايوي: ثلاثة أيل سود.

وتحمل أسماء الجمع الجزئية عددًا كبيرًا غير محدد من أفراد النوع، من دون استنفاد النوع، بحيث إن بناء الرؤية حقيقي يبقى ممكنا (قطيع - قطعان). مثال Gewölk (تجمع ضبابي)، Gebirge (سلسلة جبال)، Gehölz (غابة) - Haufen (أكوام) من تجمع Herde (قطيع)، و Schwarm (سرب) - Horde (همج)، و Rotte (جمهرة)، و Partei (حزب)، و Belegschaft (كافة)، و Regiment (آلاي)، و Kirche (قداس).

وثمة اسم جمع حقيقي في الأصل أيضا هو Jugend (نشء) = جمع من أناس صغار، مثل الكلمة اللاتينية iuventus، التي تبنى بالنسبة iuvenis. بداية بشكل ثانوي صارتا كلتاهما مجردتين. وربما كانت الحال المثلى أن الأفراد يقعون متجانسين تماما في كل اسم الجمع، كما هو مع "أكوام"، ولكن بمعنى صارم هذه ليست هي الحال غالبا. ويتكون القطيع من ظباء، والقطيع من جاموس من الحيوانات ذاتها، ولكن لها حيوانات متقدمة على القطيع، وينيط لها وظائف خاصة. هذا لا يجوز للمرء هنا أن يتغافل عنه. ويصير أوضح الاختلاف مع: أسرة، حزب، آلاي، قداس، برلمان. وبالنسبة لأسماء الجمع هذه استخدم بورتسيج الاسم الموفق "وحدات حصيلة". وهي تقع في الانتقال إلى "الألفاظ الشمولية الشيئية"، التي نعالج فيما إلى ص ١٢٨ (في الأصل).

وبشكل أساسي تقع كل هذه القيم الجمعية في مجال ما هو واقعي مدرك. ولكن إمكانية الرؤية الحقيقية مثلا لم تعد مقدمة مع حزب وقداس، فمقاييس قدرة الإدراك الإنسانية متجاوزة. وليس دائما يبقى التفريق بين أسماء جمع كلية وأسماء جمع جزئية واضحا. توجد انتقالات. فكلمة "غابة" بوجه عام جزئية، ويمكن أن توضع الأكثرية. ولكن حين أقول: خمس البلاد مغطى بغابة، فإن غابة

تبدو أن نتعامل كليًا، وبشكل أفضل: إذا تناولنا هنا كلمات المادة، انظر "مغطى بالماء". وحين أقول: "يوجد سمك"، فإن في موضع اسم جمع مرة أخرى كان لمادة غير محددة "سمك"، ويقال عنها بشكل مشابه حين يقول المرء: "في هذه الطبقة يوجد فحم". وهكذا فالحد بين أسماء الجمع الجزئية وأسماء الجمع الكلي وألفاظ المادة ليس ثابتًا تمامًا. ولكن الانتقال إلى الأخرى، مقولة المواد، كان ثانيًا حقًا، فهو يزحزح فهم الشيء؛ فالغابة الآن ليست إلا قيمة جغرافية، و"سمك" ليس إلا مادة تغذية.

وقد كانت كل أسماء الجمع الملاحظة حتى الآن هي تلك التي للوجود المشترك. وتوجد أيضًا أسماء الجمع للتوالي: أسرة، وسلسلة نسب، وفصيل حيوانات؛ فهذه ليست كثيرة.

وإلى جانب أسماء الجمع لأشياء الحقيقية توجد أيضًا أسماء الجمع لعمليات، التي تعد إذن متحولات - فعلية في الوقت نفسه: Gepolter (إحداث ضجة) و Gerenne (ركض مستمر)، و Gezappel (تخبط)، و Geschnatter (ثرثرة)، و Gestöber (تطاير/تنتيش). وفي الانتقال إلى أسماء الجمع لأشياء يقع Auflauf (تجمع/تراكم).

١٢٥ /ويُعد من أسماء الجمع لأشياء عادة أيضًا نمط من ألفاظ، تكون مجمعة في إطار وجهة نظر ذاتية جدًا، وحسب اهتمام البشر، وتشتمل على أشياء من أنواع مختلفة. وهي تقع تبعًا لذلك على مستوى الجنس، ويجب أن تسمى مجردات؛ وفي الغالب هي أبنية وحدة حقيقية غير محددة الشكل مثل أسماء الجمع، مع دون القدرة على بناء الجمع. وتتبع ذلك كلمات مثل فاكهة، وخضروات، وعشب، وحشرات، والجوشو (مطبخ) في الأرجنتين الذي أمتلك فيما يلي بالنسبة لألوان خيله الأثيرة ... ٢٠٠ اسمًا، عرف بالنسبة لعالم النباتات أربعة أسماء جمع فقط pasto = ما يأكله القطيع، و paja = ما يستخدم للقش، و cardos = نبات خشن، yuyos كل الباقي، زهور، وعشب، وفحم. (الاسمان الأخيران في الواقع جمعان، وقد دلا على "أشواك" أو "أعشاب" وصار هناك تعميمًا). وحين نؤكد أن أسماء الجمع لا تتجاوز ما هو مقدم، وتختزل فقط ما يتبع بعضها بعضًا بشكل طبيعي لم تعد لدينا هنا أسماء جمع فعلية وثمة مجردات مشابهة أيضًا: Sumpfflora (مجموع نباتات مستنقع)،

Steppenfauna (مجموعة حيوانية في البراري)، و Viehstand (حظيرة مواشي)، Werkzeug (أدوات عمل)، و Schanzzeug (أدوات الحفر)، و Kroppzeug (أدوات زحف)، التي تُسمى وفق تبعية مادية وبيئية ... إلخ.

وتعد أسماء الجمع في رأي باحثي اللغة بوضع الأكثرة ذي الطابع الكلي الخاص بلا مادة لغوية أساسية، وهي أقدم من بناء الغالبية المتحرك المألوف لنا من خلال إضافات انطلاقًا من مفرد موضوع بداية بشكل واضح. ويستطيع المرء أن يحدد الفرق بين النهجين بأن تشكيلا جمعيا يشرط ويقيد فيما كليًا شكلًا للغالبية، وأن تشكيل الجمع يوصل من خلال مقابلة الاسم إلى أي توزيع. وهكذا يتطلب ويجد إكمالًا مفيدًا في لفظ العدد المفرد، الذي يحدد بدقة الكم: ثلاثة أحصنة.

ويظهر لنا بديهيًا أن الفرق بين مفرد وأكثرية واضح، ومدرك بجلاء؛ ولكن الأمر ليس كذلك. فلغات كثيرة لم تشكله بوضوح، وليس البدائيون فقط. هذا يمتد حتى الصينية، وإلى حد ما العربية. ففيهما تصف كلمات أساسية، ليست لفظ غالبية بوضوح على الإطلاق، ابتداءً بشكل غير محدد (نكرة) النوع. ويقول المرء كثيرًا جدًا، حين يطلق على أسماء جمع كلية، ومن كلمات النوع هذه تتحصل من خلال إضافة سوابق أو لواحق على اللفظ لما هو مفرد، Individualis (فرديات). وهكذا في شمر، لغة حامية تدل على es-a على (دموع)، وعلى العكس من ذلك es-a (دمعة). وفي الساموائية تعمل أداة معرفة أو أداة نكرة بشكل إفرادي، فتعني mamu نكرة القسم طائر (مثلًا في الألمانية الفصحى الوسطى gefügele، وفي الألمانية الفصحى الحديثة "Geflügel" لم تعد تناسب). بداية تعني le mamu "الطائر"، و se mamu (الطائر). ولا نفهم ببساطة أن الفصل في عدد الأفراد المعنيين يمكن أن يقل في الاهتمام. سأل باحث ألماني بمناسبة قصيدة حول الموضوع: "قفز اللوتس من القارب" صديقه الكوري، هل تتصور فتاة أو عدة فتيات في القارب، ١٢٦

لأن لفظ النوع الكوري لم يفصل في ذلك بشيء. ضحك الكوري: "لكن هذا ليس بذي أهمية" (صورة عن الموضوع ذاته أعطت إيضاحًا، فقد بينت عدة فتيات في القارب). هذا الموقف مفهوم لدى أناس، يعيشون تمامًا في تصورات تقديس الأجداد، واعتادوا أن يروا أرواحًا (أنفس) فردية، وأرواح القبيلة واحدة. وثمة آثار لنمط التفكير ذاته

ما تزال تحيا أيضًا في الألمانية. فكلمة Haar (شعر) تسم بشكل جمعي الكل، وإلى جانب ذلك صيغة الجمع Haare بشكل توزيعي بمجموع الشعرات المفردة، وانطلاقًا من هنا قد اكتسب ابتداءً المفرد لوصف النموذج المفرد: 'ein Haar', 'das Haar' (شعرة الشعر). وتحافظ رومانية المتحدث مع عدد من الكلمات (بوجه خاص تلك كانت محايدة تصريف -ه) على اسم الجمع، ما يسمى "جمعًا نكرة" إلى جمع معرفة بني في وقت متأخر من المفرد: بالنسبة لـ pér (مفرد، مذكر، من المحايد المفرد اللاتيني) "(مفرد) "كمثرى" من جهة pera (نحويًا مفرد، مؤنث، ولكن دلاليًا اسم جمع من المحايد الجمع اللاتيني) "كمثريات"، مثلًا pauca péra "(قليل من الكمثرى)"، ومن جهة أخرى pers (مذكر، جمع معرفة)، مثلًا nov pers (تسع كمثريات)[٢١٥]. والبدائي أيضًا فضلًا عن ذلك لديه إلى جانب اسم الجمع لفظ العدد، في الغالب في محيط محدود، في الغالب حتى ٣ أو ٤، وبشكل مفرد يصل أيضًا إلى ٢ نقط (رجال الغابة). ولكن ليس مستعملًا لديه بشكل منفصل، بل مرتبط بشيء. والأنواع مختلفة للشيء ألفاظ العدد الخاصة به، بحيث إنه مثلًا ٢، ٤ قوارب تعد على نحو آخر غير ٢، ٤ جوزات هند... إلخ. هذا يؤدي غالبًا إلى الكثرة مضطربة لسلاسل ألفاظ العدد. ويمكنه كذلك أن يتذكر البدائي ألفاظ العدد الخاصة به بشكل محال فقط ممثلة على الأصابع، وهو ما يشترط مرة أخرى خاصية فردية شكلية، غير متسلسلة لألفاظ العدد. وللغات بدائية كثيرة طريقة عد خاصة أيضًا للضمائر، التي تعين الأشياء الأهم، الأنا والأنت، مشكلة في صيغة أوجه الغالبية الصغيرة للتثنية والتثليث. ولكن ألفاظ العدد الخاصة هذه تبنى في الغالب من أصول مختلفة للكلمة، أي مرة أخرى فردية شكلية (انظر في

---

(٢١٥) انظر هـ. لاوسبرج، علم اللغة الروماني III/١، ١٩٦٢، ص ٢٩. بقايا اسم الجمع المؤنث، المفرد المنتهي بـ -a- في لغات رومانية أيضًا، في الغالب مع تطور دلالي خاص: في الإيطالية legno "خشب"، و legna "حطب" (في الكتاب السابق، ص ٢٠؛ وص ٢١٥ حول العلاقات في لهجات إيطالية قديمة).

(١٦) حول ما يأتي انظر ا. كاسيرر، اللغة (١٩٢٣، إعادة طبع ١٩٥٦)، ص ١٨٤ وما بعدها.

القوطية ik = "أنا"، و wit = "نحن الاثنان"). يعنون "أنا وأنت"، "أنا، وأنت، وهو"، أو "أنا، وهو، وهو" أيضًا (تثليث مصري). وقد تجاوزت أبنية التثنية بشكل معروف كثيرًا إلى الفعل، وإلى الاسم أيضًا، وحوفظت عليها حتى وقت مبكر للغات الحضارة (للسنسكريتية، واليونانية، والجرمانية القديمة أيضًا.

١٦٧ / وقد نتج هذا في مقابل كل أبنية الأعداد الشكلية هذه على خطوة تركية النتائج الحصر كبير، بعد لاحظ الإنسان أن عملية العد مع أشياء مختلفة متشابه، ومن ثم يمكن أن تنفصل عن الإدراك الفردي للشيء. وهكذا صار ممكنًا أن تبنى غالبية محددة بإضافة مفردات مماثلة بشكل تدريجي انطلاقًا من القيمة الأساسية، يمكن أن تقدم في الوقت نفسه كشكل وكتسلسل متجانس لأجزائه (بشكل توزيعي). وبذلك وجدت سلسلة الأعداد المحضة، ملسبًا بالغ التجريد. وكان لدى المرء الجمع الوظيفي الحقيقي مع مضاده، المفرد، وبذلك تشكل للمرة الأولى التقابل الأساسي بين غالبية ووحدة بشكل واضح، وكذلك إمكانية أن تحدد بوضوح حسب الحاجة محيط الأكثرية من خلال زيادة موضع السلسلة (العدد الأصلي). ومن ذلك حكم على طرق العد القديمة وصور الغالبية الفردية الشكلية بالتراجع أو الاختفاء التدريجي: التثنية والتثليث، والعد المحاكي، وأسماء الجمع أيضًا. وأتاح إبداع سلسلة الأرقام المعزولة عن الشيء في الوقت نفسه أن تدرك مع أوجه الكثرة للأشياء والعمليات أيضًا مقاييس الزمان والمكان في إطار المبدأ ذاته، والتعبير عنها. وربما اتضح الفهم التسلسل المتتابع للإنسان في التوالي الزمني للعمليات، وتحديد أفعاله الخاصة على نحو أكثر مما في الوجود المشترك للأشياء في المكان. ومع لفظ العدد المتسلسل، الخالي من الشيء الذي ورد في موضع العد المرتبط بالشيء في مراحل لغوية مبكرة، يقابلنا نمط جديد من التجريدات، منفصل بشكل حاسم جدًا عن أساس الإدراك. فألفاظ الأعداد تجريدات حقيقية. ولا يسم لفظ العدد الأساسي المفرد (الأصلي) كمًا، ولا حتى كيفًا في الشيء، بل يمثل الفعل المتكرر لإضافة المثل إلى مثل أول حتى نتيجة معينة.(١٧) هذه العملية للإضافة أنجزت بلا شك في الأصل

(١٧) انظر أ. شتور، علم النفس، ١٩٢٢، ص ٤١٦ وما بعدها.

بشكل حالي ومتذكر من خطواتها المفردة (انظر فيما سبق): ١- ٢- ٣-
٤- ٥ أحصنة؛ وكان اللفظ هنالك سلسلة لفظية، اندمج التعبير
مع علامات تا و متصلة. ونتيجة للتكرار الشائع للأعداد ذاتها
انتهى إلى اختصار للعملية(١٨)، إذ يحط الذكر بالسلسلة كلها بشكل
موجز، وتبعاً لذلك يعبر عنها بكلمة. هذا كان في الواقع ممكن فقط
مع كميات صغيرة، نقول مثلاً حتى ١٢. فقط إذا ما خطا المرء
إلى تدرج أعلى للسلاسل المختارة (الثلاثات، والخماسات والعشرات)،
تعلم أيضاً أن يشكل كميات أكبر أيضاً، لم تعد تدرك بشكل واضح،
مثلاً ١٠×٥، ١٠×١٢. وفي كل هذه الأشكال للجمع ربما لا يوجد
فعلى بعد. ولكن ورد هذا حين تعلم الإنسان أن يحل الأعداد ١٢٨
عن الربط بالشيء. ومن ذلك تكون الأعداد أيضاً بطريقة
أجناساً، مبنية بالفعل من كل الأشياء الموجودة مرتين وثلاث مرات
... الخ. أجناس بداهة بنيت وفوق سمة فريدة، وفي الواقع
سمة علاقية بشكل محض، سمة العددية، تحمل على الأشياء
ظاهرياً، ولا تسكن فيها. وتكون ألفاظ العدد من منظور منطقي
أساساً من أقسام.

وبعد أن كان حدث أيضاً الانتقال إلى سلسلة الأعداد والجمع الوظيفي، فقد حافظت أسماء الجمع في داخل لغات الثقافة العليا على نصيب مهم في الثروة اللفظية، لأنها بقيت الممثل رقمياً لتلك الوسائل اللغوية الجديدة. ولكنها في الاستعمال بمقدار مختلف قريب من الاستعمال الحديث للعدد، إذ لا أيضاً، كما صُوِّر من قبل، يمكن أن نستعمل ألفاظ عدد بمساعدة مخصصات: "ثلاث قطع ماشية". بل حتى العد المرتبط بالشيء ينزل في أمثلة مفردة في لغاتنا أيضاً، بالألمانية "زوج، نير، لوز (=١٥ قطعة)، "وسلم" (=٢٠ قطعة)، و"مجموعة" (=٦٠ قطعة) تستعمل بوجه خاص حتى الوقت الحاضر من أجزاء مكونة أساسية للاقتصاد الزراعي، من دواب الجر، وحزم، وبيض فقط. (ما يستعمل غالباً من ألفاظ المجموعات هذه، دستة غير مرتبط بشيء، وفضلاً عن ذلك

---

(١٨) شتور ص ٢٩٠ وما بعدها.

كلمة مقترضة، ربما من الكلمة الفرنسية douzaine).
وسواء أراد المرء أن يضع أسماء الجمع على نحو أقرب إلى المحسوسات أو المجردات فإن مسألة رأي. فهي تبنى من خلال فعل اختصار، ولكن تقع قريبة عند الإدراك ولا تبين تدرجا أعلى. وربما لا أريد أن أسميها مجردات بمعنى تام شامل. هكذا أسمي نمطا أوسع للاختصار، لا تفرق لشكل حاد تماما عن أسماء الجمع، وفضلا عن ذلك يفتقد إلى التمييز من خلال علامات شكلية. وأبدأ بمثال واضح. كلمة مثل Krieg (حرب) تسم وفرة حدث بتنوع مكاني وزماني كبير، واختلاف كبير للعناصر المفردة: هنا هجوم بالنار أو حركة استكشاف، هناك تخطيط قائد الحرب على خطط وتقاريره؛ كل هذه الجوانب المفردة تترابط من خلال روابط طولية وعرضية كثيرة. وليست العلاقة ذات طابع خارجي فقط، كل شيء يجتمع في عملية كلية كبيرة، تركيب السببية، وتأثير متبادل والفعل بحكم الحركة. ولكل شيء طبيعة العملية الواقعية، ومن ناحية منفصلة يقع كل في مجال إدراك ممكن؛ وتجاوز الكل حسب المقدار قدرة الإدراك الإنسانية إلى حد بعيد. ولكن لا يحدث هنا أيضا فعل تحول عقلي فعلي. أمثلة أخرى: عيد، خطبة، نزهة، سوق، كرنفال بعثة استكشاف (خطبة)، حصاد.

١٢٩ وتعد ذات قرابة أشياء معقدة، تمثل أكثر من تركيب ثابت شيئي، ولكن في الوقت نفسه تركيب أثر أيضا: قرية، ملك، إقطاع، محل، مصنع، مدرسة، مع خاصية أعلام: السكك الحديدية، هانزا. ويستطيع المرء أن يواصل الخط الأول حتى المفاهيم البالغة التعقيد، مثل: علم، دولة، والثاني أيضا حتى المفاهيم الفردية: عصر النهضة، تاريخ روماني. هذه الألفاظ كلها أيضا ليست مجردات بالمعنى التام، ولأنها تفتقد كل رؤية ممكنة، لا يعد فعل تحول عقلي فعلي أساسا مميزة. تعد ذات أهمية كبيرة آخر الأمر سلسلة الأسماء، التي لا تسمي جسم الجوهر، تركيب السمة لشيء ما، بل تقدم الحكم الكلي له أو تقييمه. وهكذا الحكم على حال بأنه: نجاح، وفشل، وانتصار، وجميل، وغدر، وخطيئة - حقارة، دناءة. ويستطيع المرء أن يلاحظ أن السلسلة

الأولى ماتزال الأصلة واضحة بالجوهر، والثانية تتضمن موقفاً ذاتياً بشكل كض. وتحلم على الشوسية بشكل تفوص لـ : جبان، ووغد، وملاك، ومن ذلك لا تتضمن جانباً موضوعياً إلا الكلمة الأولى. ويوجد تحت ألفاظ القيمة هذه أيضاً أسماء جمع : Gesindel (سفلة الناس)، Geschmeiß (غوغاء/سفلة)، و Gelichter (حثالة القوم)، و Kroppzeug (رعاع القوم)، و Pack (جموع سفلة)، و Troß (عربات تموين وإمداد) (في الأصل Gepäck (عفش، وفي معجم الكلمات الأجنبية لسنة ١٥٦٧، ص ٣٥٧ لسيمون روت بمعنى ازدراني تماماً). وفي كل مكان هنا وضع عبر مستوى ماهو واقعي مستوى أعلى لاعتبار موجز؟ وهكذا فإننا هنا يجب أن نقر بطبقة مجردات. وفي الواقع هذا التجريد منتج، منجز معنى، وتجلب أجزاء مجال القيمة إلى الكلمة، وفي الوقت نفسه تعد مميزاً أجزاء قبل الجانب الذاتي. ويجوز هنا أن يتحدث المرء مع ڤيندلبند عن "مقولة تأملية".

VI

حين نقر بأن كلمات من كل أنواع الكلمة، مادامت تعين أجزاء من الواقع، يجوز أن تسمى محسوسات، وليست أسماء فقط، وأنه إذن لا يمكن أن تكون ذوات فقط محسوسة، فإنه تنتج إمكانية أن نبحث البعد محسوسات - مجردات في أنواع أخرى للكلمة أيضاً. نريد على الأقل أن نلقي نظرة على الفعل والصفة. سوف يتوقع المرء مع علة أن نجد كلاً منهما مستعداً مقولات خاصة، ولكن في الوقت نفسه نرى على الحد ما أيضاً الموجودة مع الاسم.. كلاهما تتجلى بشكل متضافر.

بالنسبة لنا تعد إذن أفعال، مثل : يتحرك، يطير، يقفز - يأكل، يضرب، يسمع - يخاف، ينعم الفكر، محسوسات؛ فما تقوله متاح للإدراك بوضوح. وعلى النقيض من ذلك لا تغيب مجردات فعلية؛ ذات مضمون نشط : يفعل، يعمل، يسبب، يغير، يتحرك، يتصرف - وذات مضمون محايد : يحدث، يستمر، يحصل - وبشكل سلبي في صياغة سلبية حقيقية : يتبع، يعضي، يفقد، يضيع - وبشكل سلبي في صيغة متوسطة : يتغير، يقدم على. ١٣٠

وعلى نحو مشابه يمكن أن تتضح تلك الحالتان الخاصتان مع الصفة : بني، خشن، حلو، غاضب، مريض محسوسات بلا شك، ثم ماهو

مدرك بشكل حسي. وبالتأكيد تعد مجردات: معدني، لوني، ملون، متدرج، متنوع، متعدد الصوت، تابع، متاح، قادر، شامل، خطر، مستوى، لفظي، واقعي، محسوس، مجرد.

أنظر الآن بإيجاز في نوعي الكلمة بالتفصيل لبيان أنه [illegible] الأبنية البيئية ترد تحولات في كل مكان وفي اتجاه مختلف. وأسماء الجمع، والألفاظ الشاملة على الأقل مع الأفعال، والمميزات (الخصائص) مع الصفات.

وللفعل بوصفه قطباً مضاداً للاسم عدد كلي من مقولات خاصة واقعة بشكل مزدوج غالباً، منها الأهم:

١- غير شخصي - شخصي.
٢- غير متعد (محايد) - متعد.
٣- اتجاه التحويل: مبني للمعلوم - مبني للمجهول
[- متبادل: "تضارب" - منعكس: "يغتسل" - وسيط "يستحي"].
٤- نوع مجرى الفعل، ما يسمى أنواع: تحولي - دوامي، شروعي منته، مكثف .. إلخ، وربما توضح التسميات ذاتها إلى حد ما.
٥- زمنية (أزمنة حقيقية).
٦- جهات: جار - مركب، ليس في الواقع تابعاً للمعنى، بل للنحو والعرض.
٧- درجات الواقع: فعلي - [illegible] ومع ذلك يصح المماثل.

لا أستطيع هنا أن أعالج كل [illegible] فقط أنه ليست دائماً تلك اللغات التي لا [illegible] تاماً، هي التي تقصر بناء كل هذه الظواهر على الفعل. فبعضها يعبر عن زمانية مثلاً في الاسم أيضاً. فالصومالية مثلاً تفرق في هذا أو في الأداة المعرفة، المضافة إليه، بواسطة تبادل حركي حاضر زمني (حركة ٩) عن بعد زمني (حركة ٥)، ولكن من دون أن تفرق الأخير في الماضي والمستقبل، أي مثلاً: "الإنسان - الآن" - الإنسان ليس اليوم".

ويقول المرء محقاً إن اللغات الهندوجرمانية، بوجه خاص لغات الزمن المبكر، ذات طبيعة فعلية بشكل بارز: هذا يعني أن فعلاً

مبينًا بشكل ثري يبني المركز الفعلي لقول الجملة، لكي ينظم
هذا الأجزاء الأخرى: فاعل، مفعول، تحديدات أخرى. ويصنع الفعل ١٣١
على هذا النحو الجملة لما تكون. وتضع مقابلة عادة للفعل بوصفه
قولاً (محمولاً) لموضوع اسمي عادةً، الذي يقال عنه (موضوع أ)،
الجملة بشكل كبير بصيغة الحكم المنطقي. ولذلك الزعم الممكن في نظر فقط
في الجملة الهندوجرمانية، هو الجملة اللغوية هي حكم دائمًا. وتعلم شيئًا
آخر نظرة في لغات بناء مغاير تمامًا، أي اللغات المسماة الضامة،
مثل اللغات الأمريكية، ولغات الإسكيمو. وعلى العكس من ذلك تحدث
أيضًا عن الالتزام الزمني المستمر للفعل الهندوجرماني. ولا تكون أحكام
في الزمن، ويمكن أن ترى الفكرة على أقوال عامة للخلق فقط.
ولما كان النمط الهندوجرماني السائد هو فعل العمل فقد نما من اللغة
ميل، ضرورة تقريبًا أن نعد كل حدث فعلاً لفاعل، برأي ديناميكي للقول،
أسهم فيه مضمون الحركة الحاضر دائمًا في الفعل. وكان يحس بأن الفعل
تعبير عن الحياة، وقد أدى هذا إلى شعور جوهري بالطبيعة: الشجرة
تنتصب، والجبل يتطاول، والحشيش يتمايل، والرياح تسري، وتثور
وتمر، وتجري (موريله)، والضباب يسرع، والليل يأتي، والدم يتدفق
والقطار يسير، والمدينة تقع — كل هذه الاستعارات التي نحيا، التي تشهد
في الحقيقة شبه استعارات فقط، بل في الواقع شيء، تحدث للصيني
بشكل غير معقول، وغير مستعملة بأية حال بالنسبة للشعر. لأن اللغة
الصينية لا تقدم الباعث للتفسير والإحساس الديناميكي للطبيعة: فهي
لا تعرف التقابل الحاد بين الفعل والاسم، ولا التفريق الشكلي بينها أساسًا.
وحيث تكون العملية متعدية، أي تتجاوز مفعولاً، توجد إمكانية تشكيل
القول من جانب المحدث أو المعني، أي بناء مبني للمعلوم أو مبني للمجهول.
ما مدى قوة سيادة مفهوم المبني للمعلوم في اللغات الهندوجرمانية
يتبين في الميل إلى القول عن معاناة أيضًا من طرف المعنى (المختص)
في صيغة مبنية للمعلوم: يعاني، يموت، يحترق؛ "أسافر إلى بون"
تعني: "أنقل". وبشكل قاطع جدًا في اللاتينية vapulo (أضرب)،
و veneo (أشترى). وتتبع ذلك أيضًا أفعال الإحساس، التي تخبر
بالفعل عن ما هو معنى من مثير: أرى، أسمع. وإلى جانب ذلك
تحافظ الألمانية على مرائد تمييز مفيد أيضًا: mich friert (أشعر بالبرد)

es Kommt mir vor، (يبدو لى) mir scheint، و(أقشعر) mir graust
(يرمق)، و es gefällt mir، (يعجبنى) es meint einem (يقصد)
(جونهلف، أولى الكبد، حرره ف. موشر، ص ١٢٢) - هذه مجموعة
خاصة من الأفعال غير الشخصية التى لا مفعول شخصى، ويمكن أن
تسمى على نحو مناقض "غير الشخصية الشخصية". وتوجد لغات،
لا تفرق بشكل أدق، فى الواقع ليس على نحو منطقى تماما بين أفعال العمل وأفعال
الإحساس؛ ففى الجورجية يعنى "أكتب" (vt'sér)، ولكن ليس "أسمع"،
بل "لم يصل إلى سمعى" (mésmis)، وبشكل أكثر تميزا "لى فكر" (mgónia)
بدلا من "أفكر"؛ هنا فضلا عن ذلك يقابل بالألمانية "es fällt mir ein" (يخطر ببالى).
١٣٢ وبوجه خاص ألمانية الجنوب "es denkt mir"، وبشكل خاص؛ بحس مرهف
نجد فى ذلك غالبا الشعراء؛ فقولهم يمكن أن يقول mir geschiht ein Truren
(أصابنى الحزن).

وتوجد أيضا لغات، صارت فيها، على نقيض تام للنمط الهندوجرمانى،
actio صيغة المعاناة سائدة ونجد أيضا استعمالا للفعل المنطوق. وهكذا لا يعنى
فى الجرينلاندية فقط "mir ertönt" (يرن فى أذنى)، بدلا من "أسمع"،
"der Frau erschien der Hund" (للمرأة ظهر الكلب) بدلا من "المرأة رأت الكلب"،
بل كذلك "er stirbt mir" بالنسبة لـ "أميته"، و "es fliegt mir fort"
بالنسبة لـ "أقذفه بعيدا". هنا يتبين، كيف لا تعرف اللغات غالبا الإبقاء
على فروق مفيدة منجزة فى قيمة تامة، فهى تمزجها، ولذا تقلل قيمتها.
وسبيل اللغات ليس تقدما منطقيا، ففى الغالب تمضى مباشرة إلى حافة سد.
وأختبر الآن كيف يقف فعل وصفته من بعدنا محسوس - مجرد، وكم
من الصيغ البينية يمثل فيها أيضا، فى البداية المحولات (صور القلب).
يشى الفعل فى الغالب بحدث، فهو حركة - أو عملية. بل حال توقف
أيضا، ربما كانت الصفة لذلك صيغة التعبير الأكثر مناسبة، لأنه يمكن أن تعبر
بشكل فعلى. ثم إن الفعل يجلب كذلك أولا التزاما بالزمن، وثانيا
إحساسا بالدينامية، ويظهر وجودها فى مثل عمل، لأن إحساس العمل
يسكن الفعل الهندوجرمانى: يقع، يجلس، يعلق، ينام؛ وبشكل

---

(١٩) يكتب موتسارت فى خطاب إلى كونستانزه فى ٧/٧/١٧٩١: "Es macht mir zu viel Empfindung" (أثار مشاعرى)

مكاني كهذا: يمتد، تقع (مدينة). ويحافظ الفرنسي هنا على إحساس لغوي دقيق، فهو يقول بشكل اسمي être couché (رقد)، و assis (قعد)، و debout (وقف)، و suspendus (معلق). وعلى نحو مشابه في الإيطالية star seduto إلى جانب sedere، و esser sospeso إلى جانب pendere. ولدى الإنجليزي استعمالات، مثل: he is asleep, alive, awake, he is sitting (هو نائم، حي، يقظ، جالس). ويستطيع المرء أن يقول إن الأفعال الألمانية المذكورة تتبع مجال المتحولات. فهي تقع هناك، حيث تتوقع بالأحرى صفات، ولكنها أساسية، ليست مستمدة من صفات.

بيد أنه توجد متحولات - صفة حقيقية أيضا، تشي بخواص أو أحوال بمعنى تام، وتعود إلى صفات: lahmen يعرج (هو أعرج)، و ragen يقوم (هو سامق) (في الألمانية الفصحى الوسيطة rac = "مشدود، جامد"). وتقف (كلمة جديدة للتعبير في حوالي ١٩٠٠ بنيت من "steil" (واقف، قائم)) steilen، و wachen (يقظ)، و fasten يصوم (صائم)، قارن في اليونانية σωφρονεω (فاهم)، و θαρρέω (شجاع). وجديرة بالملاحظة بوجه خاص أفعال الألوان: blauen (ملون بالأزرق)، و grünen (ملون بالأخضر). وفي زمن الألمانية الفصحى القديمة كانت سلسلة كاملة، ووجد أيضا swarzen (يسود)... إلخ. وكذلك في الإيطالية albeo عارف.

وتعد نادرة في الألمانية متحولات الاسم، التي تشي في صيغة فعل بأن شخصا ما بهذه الطبيعة، الحال، المهنة، ما تسمى Permansiva (مشتقة) وكلمة «herrschen» (يسود) تعني في الأصل "Herr sein" (يكون سيدا)، ولكنها غلبت تماما مضمون الفعل الممكن المرتبط بموقف السيد. بحيث إن "herrschen" = "يسود/يحكم". ووفقا لذلك تتبع dienen (يخدم) في الألمانية الفصحى القديمة deo (عبد)، ولذلك كانت تعني في البداية (يكون عبدا). ١٣٣
وقد طورت القوطية هنا نمطا ثابتا، ينتهي بـ -inōn: gudjinōn "يكون كاهنا"، من gudja (كاهن)، و skalkinōn (يكون عبدا) من skalks (عبد). هذا النمط يحدث في لغات كثيرة، ففي اليونانية βασιλεύω (أكون ملكا)، و φονεύω (أكون قاتلا)، وفي التركية والجرينلاندية، وأيضا في البابلية القديمة، وقد صاغ علماء اللغة البابلية المصطلح Permansiva مشابهة (في الأشورية sarraku أكون ملكا).

أسماء الجمع في صيغة فعل، التي تشي بفعل حادث كثيراً أو في
مراحل عدة في كلمة ما، معروفة بأنها قسم مبني بشكل ثري، وتسمى
عادةً بأنها "Iterativa" (متكررات). وتستخدم بعض اللغات لذلك
طريقة البناء الأكثر طبيعية بشكل واضح، التكرير. وفي الألمانية هذا نادر:
beben في الألمانية الفصحى القديمة biben، وفي السنسكريتية bibhemi
"ارتعد"، و"ارتجف"، حيث تبرز بدايةً اللوردية القديمة بوضوح التكرير titra.
وفي الألمانية تعد شائعة بوجه خاص أبنية ذات اللواحق -eln، و-ern،
و-zen أيضاً. وتارةً يُعبّر عن النشاط المشترك لعدة فواعل: wogen
(يتماوج)، وwimmeln (يلتقط)، وsich sammeln (يكدس/يحشد) - وتارة
النشاط المتكرر أو الجاري في عدة مراحل لفاعل مفرد: atmen (يتنفس)،
وlaufen (يعدو) - sticheln (يخز/يشك)، وschütteln (يهز)،
وschnippeln (يقص) - lodern (يتأجج)، وschlenkern (يطوح)،
وstochern (ينقر)، وschlottern (يرتعد)، وerschüttern (يهز) -
schluchzen (ينتحب)، وhopsen (يقفز)، وتارن في الإيطالية
ventitare (يسير ذهاباً وإياباً)، وclamitare (يصيح بصورة متكررة)
(هنا كما في الغالب أيضاً في الألمانية لا ينفصل بشكل جيد عن المكثف،
clamitare يعني أيضاً "يصيح بصوت عالٍ").

ولا يغيب عن العين تحت الأفعال تلك التي يجوز أن نعدها
شاملة: بل إنها لا تفتقد: يأتي بـ، يحضر، يرك، يحمي، يحارب،
يعمر، يهدم. وما يجمل في فعل مركب، مثل "يأتي بـ" تبينه بشكل جيد
نظرة في لغات، مثل الأفريكانية، لا تنجز مثل هذه الرؤية الجامعة، بل
بدلاً من ذلك تسلسل بشكل متوالٍ المكونات المفردة للعملية الكلية
بوضوح، لذلك صاغ علم اللغة المصطلح "كلاماً سردياً". وفي إيوه (توجو)
يعني بالنسبة "أتى بـ": يذهب - يأخذ - يعطي، وبدلاً من أن يقول
المرء "غرق": "شرب ماءً، مات". وبدلاً من "يحضر" يقول
المرء في يوندا: يذهب - يأخذ، وفي الصينية، التي تؤثر طريقة الكلام
ذاتها: يذهب - يأخذ - يأتي - يعطي. وتعرف لهجات ألمانية لهذا النحو
أيضاً. وبوجه خاص يلحق "gehen" (يذهب) بطريقة متحجرة تقريباً في الغالب
بفعل حدث حقيقي، ففي ألمانية شمالية (nd u. nfd) ga sitten لـ "اجلس"،
وفي أحد الراين يمكن أن يقول المرء أيضاً: "laßt uns gehn schlafen" (gehn)

("Loss mer jon schlöfe jon"). وعلى نحو مشابه لدى شعوب البانتو ينحو فعل الذهاب ka إلى فعل مساعد، ما يسمى Ka movendi؛ هنا يعني بالنسبة لـ "ربطوه": "ذهبوا أخذوه، ذهبوا ربطوه"... إلخ.

مميزات توجد أيضًا تحت الأفعال: freveln (ارتكب جريمة)، Pfuschen (لا يتقن عمله)، bummeln (يتلكأ في العمل)، verludern (أهمل/أخطأ)، ولكنها لا تشغل مساحة واسعة.

١٣٤ / صفات هي ذلك النوع للكلمة الذي يميل في الأغلب إلى جانب المحسوسات، لأن الصفات تشي عادةً بسمات مفردة لحاملها. ولذلك فما تاريخ النوع للنوع معقد. ومنذ زمن الاتجاه الاسمي عدَّ المرء الصفة مجردة. وبداية أتى جون ستيوارت ميل بهذا التقليد، ووضعها مع تعليل معقد إلى حد ما في الواقع ضمن المحسوسات. ويجوز أن نضع أغلبية الصفات ضمن المحسوسات باعتبار أنها تشي بأجزاء متاحة للإدراك من الواقع، أو الكيفيات، أو الكميات أو العلاقات لحاملها، ومحددة للكشف: بني، أملس، حامض، نظيف، فرح، شرسة (كلاب). وترد كذلك صفات خاصة كثيرة، أي تلك التي تحدد سمة متوقعة بأنها غير موجودة، ولكن بذلك غالبًا يبسط معنى إيجابي في اتجاه معاكس: غير هادئ، بلا تأنٍ، بلا انضباط، دون راحة، خالٍ من البشر، عريان، ضرير. وأخرى محددة للكم: كبير، واسع... إلخ، وأخرى أيضًا تشي بعلاقات، بوجه خاص تلك التي ذات طبيعة مكانية أو زمانية أو عددية: بعيد - مبكر، نادر - أبوي (ملكية)، إنجليزي.

وتقترب الصفة من الفعل إلى حد ما، بحيث إنه يمكن معها أن تُحمل تحت المفهوم "عارض". وتبعًا لذلك تحت المتحولات، التي تقابل تحت الصفات أيضًا، الفعلية الأهم ("مريض في الواقع" وسمة عملية). هنا يسود فضلاً عن ذلك مثلما نادرًا بناء ملموس للسلاسل له سمات واضحة للشكل في المشتقات. هذه صفات حقيقية، وتلتزم في الوقت نفسه قرابة بالفعل، على نحو أوضح في أنها تشارك في مقولة فعلية مهمة، الورود المنفصل في مبني للمعلوم ومبني للمجهول. وفي الألمانية لدينا مشتق من المضارع يقوم بوظيفة مبني للمعلوم (مشتعل، مرتجف)، ومشتق من الماضي يقوم بوظيفة مبني للمجهول (مستنفد القوى، مهدَّم).

ولكن الأخير ليس له دائمًا معنى الماضي، مع أفعال مستمرة: محمول
(بالمحمدة)، مخيف، محبوب، متعب، محترم، مشمس (الذي يتميز بقوة
في المعنى عن فعل الجذر "sinnen" (تأمل)، وصار فضلًا عن ذلك صفة
بشكل محض تقريبًا) تعود إلى الحاضر. وقد طورت الألمانية الحديثة
أيضًا مشتق مستقبلي مبني للمجهول أو necessitatis (مستلزم):
الكتاب المقروء، مطابق للصيغة المستمرة اللاتينية liber legendus.

وإلى جانب المشتقات تقع صفات حقيقية ربما تابعة للأفعال
ذات مع اللاحقة -ig، التي تعد الأكثر شيوعًا من بين كل لواحق
الصفة، وفضلًا عن ذلك الخادمة لأغراض أخرى أيضًا؛ فإلى
جانب "zitternd" (مرتعش) تقع "zittrig"، وإلى جانب "beißend"
(عضاض) تقع "bissig". ولما تبين الأمثلة للمشتق أكثر من معنى
حدث فعلي، الصفة المنتهية بـ -ig التي للسلوك الاعتيادي
أو الميل إلى شيء. وهكذا يقع المشتق أقرب إلى الفعل، الفعل
١٣٥ الواقعي، وتعد الصفة المحضة صفة خاصة، بنيت أيضًا من خلال
تحويل صفات حالية Situativa. هذه توصف عادةً بظروف
المكان أو الزمان؛ ولكنها مختلفة جدًا عن ظروف حقيقية،
ولا تمثل مثل هذه صيغة خاصة للصفات، إذ إنها ربما كانت
صيغ حالية إعرابية لتلك، بل إنها أساسية تمامًا، ومن جهتها
هي أصل لصفات كثيرًا. وهكذا فـ "der obere" (الأعلى)
مشتقة من الظرف "فوق"، و"der frühere" (السابق)
من "مبكر"، و"der erste" (الأول) من الألمانية الفصحى القديمة / والألمانية
الفصحى الوسيطة -er التي اشتقت في الألمانية الفصحى الحديثة إلى ehe:
وأيضًا: der dortige (هناك)، و hiesige (من هنا)، و jetzige (حالي)،
و gestrige (من أمس). وتولد اللغة إلى جانب ذلك بشكل أكثر اللفظ
الصحيح نوعًا، المؤثر بشكل أمكن، ويعني إذن "die Aufführung
heute" بدلًا من "die heutige Aufführung" (البناء الحالي)، و"das
Fenster oben" بدلًا من "das obere Fenster" (النافذة العليا).

ولما كانت الصفة الأساسية لإبراز سمات مفردة، فإنه بالنسبة لأسماء
الجمع، والأسماء المميزة لا مهم كثيرًا هنا. وربما كانت التحولات -الفعلية
في صيغة المشتق، مثل "مطوح ذراعيه"، و"مزخرف"، و"مكتظ" الحالات

الوحيدة للجمع، وربما يمكن أن تعد شاملة: "ريفي، تجاري، استراتيجي، استعماري، فيلولوجي".

وإلى جانب المجموعة الرئيسة الأولى للصفات، المحددة للكيف، والمحددة للكم، التي لا تخلو من مضمون موضوعي، تقع مجموعة ثانية، ذاتية، تشتمل على صفات محكمة ومقيمة، أي مميزة. تلك تقابلنا تحت الأسماء والأفعال، ولكن مكانها الرئيسي مع الصفات. وتعد محكمة مثلا من دون قيمة: كافٍ، نافع، زهيد، ناقص. ولكن الغالبية مقيمة بشكل بارز: جميل، ضخم، شجاع، خاطئ، شريف، أصيل (خيل)، محبوب، مثير، بغيض، فظيع، ملعون. كل هذه منطوقة بالنظر إلى غالبية الصفات، التي تحشد في حكم كلي. وربما يعني المرء أن شخصا أو شيئا ما يكون، يرى المرء بعينه مباشرة، ولكن ليس الأمر كذلك. يرى المرء صورة معيار مستخلصة من عدة انطباعات مفردة، وكذلك مباشرة يكم وفير من نتائج سابقة، حين تكون هذا أيضا كالبرق في العقل الباطن. وتشي أمثلة السلسلة الأولى بأحكام، ما تزال موضوعية، ويمكن أن ترسم صلاحية أعم، وعلى العكس من ذلك أمثلة السلسلة الثانية تقسم ذاتي بشكل محض تقريبا غير مؤثر بموضوع بمضمون مادي. ينطلق بعض من جمع إمكانات الصفات (جميل)، وبعض آخر تؤكد خاصية أو عادة مثبتة بشكل متوال في السلوك (شجاع).(٢٠) وتعد نوعا أخص ألفاظ عامة مستهلكة، تقدم على نحو عام للغاية حكما محددا بصورة قليلة: "nett" (لطيف) = كل ما يبدو للمتكلم مقبولا أو مبهجا، "Komisch"(٢١) (مضحك) = كل ما يؤثر بشكل ضئيل، ويستدعي ١٣٦
إنكارا أو تهكما، ولكنه إنكار، لا ينشط إلى رفض قاطع. هنا يحكم أيضا التعبير بناء على وجود المرء". ومثل الحالات الاسمية سوف نحيل أيضا المميزات الوصفية إلى المجال المجرد.

وقد نتج أن ثروتنا اللفظية من دون حدود حادة في الحقيقة تقع موزعة في بُعد بين محسوسات، تظهر مباشرة أجزاء مدركة للواقع، ومجردات تضع غير موضوعات الواقع ذاته بناء صيغات لتشكيل عقلي أعلى بصورة متزايدة. ويصح بصفة خاصة هذا الترتيب بين القطبين، ولكن ليس فقط بالنسبة للأسماء، بل الأفعال أيضا، وبدرجة أقل، وتشترك الصفات في ذلك - وأضيف: الأنواع

---

(٢٠) انظر هـ. م. هاينريش، المعنى الأسلوبي للصفة في ملحمة هلدن الإدبية (١٩٢٨)، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢١) Sprachdienst ٣ (١٩٥٤) رقم ٦

الأخرى للكلمة أيضاً. وربما تبقى الحال الرئيسة لإبداع مجردات بناء وحدات أعلى، وأجناس من أنواع أو قيم فردية لما هو واقعي. وإلى جانب ذلك يقع بوصفه نهجاً قريباً وبانياً المجردات أيضاً الإحجام المقتدر على أساس غالبية لسمات مدركة في الموضوع (مميزات). ونتجت بوصفها نمطاً ثالثاً المجردات العالية العدد، متحصلة في انفصال بسيط جداً عن الشيئية، ومن ثم مجردات ذات درجة عالية.

ومازال نفتقر إلى بعض أشياء النظر في الكل للتجريد. ويبدو الأمر بوجه كما لو أنه توجد نوعان من المجردات، إن صح التعبير مجردات من أسفل، ومجردات من أعلى، تلك التي تبقى قريبة من الرؤية، ومبعدة عنها درجة أو بعض درجات، وتلك التي تحلق فوق الأمثال، وحيث لا يستطيع المرء أن يرى مجرى درجات يمكن أن توصل إليها؛ والتي ربما بنيت حقيقة من أعلى، من دون اتصال مباشر بقاعدة محسوسة، إن صح التعبير مجردات ذات قدرة ثانية. وبذلك ربما كان بديهياً الا يوضع معناها موضع تساؤل. لأنه تتبع ذلك تحديداً صياغات علمية وفلسفية: تجريد، تحديد - ماذا، صلة - شيء، علاقة، شرط (غرض)... الخ.